واقـع الدعوة الإسلامية في ميزان السيرة النبوية

إعداد

دكتور / علي عثمان منصور شحاته

الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية

بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

جامعة الأزهر

ملخص البحث:

فكرة البحث: تدور حول رصد أوجه القصور في الواقع الدعوي ، والتي أثرت على الدعاة بالسلب، مما فقدته مكانتهم وتأثيرهم على جمهورهم، وايجاد الحلول من خلال أحداث السيرة النبوية.

وقد جاء في مقدمة وثلاثة فصول، ففي المقدمة تناول الباحث أهم ما دعاه الى الكتابة في هذا الموضوع.

والفصل الأول : تضمن رصد واقع الدعوة في مجال الإعداد والتربية مستمدا لميزان السيرة النبوية ، وقد عرض فيه دروسا دعوية من واقع نشأة النبي – صلى الله عليه وسلم – وبدايات الدعوة ، كما ذكر دروسا دعوية من تربيته – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه .

أما الفصل الثاني فقد عني الباحث برصد واقع في مراعاة أحوال المدعوين، من خلال فهم عقلية المدعوين وطرق التعامل معهم، ومراعاة طباع المدعوين الشخصية، وتركيز الأمر والنهي على المهم حسب الظروف والأحوال، وجواز المدارة وحرمة المداهنة...

أما الفصل الثالث: فاهتم البحث برصد واقع الدعوة من خلال الوسائل والأساليب في ميزان السيرة النبوية ، فذكر فيه تعريف الوسيلة والأسلوب ، وابتكار وسائل جديدة في الدعوة الى الله تعالى.

ثم عطفت الفصول الثلاثة بخاتمة ذكر فيها عدة نتائج من أبرزها ان واقعنا الدعوي لا شك فيه تقصير بين، يظهر اثره في ضعف مستوى بعض الدعاة علميا وسلوكيا، وضعف انتمائهم لرسالة الإسلام. وهم بحاجة الى استمداد العون والصواب باستنطاق أحداث السيرة النبوية وأخذ العبرة والدرس الدعوي من واقع سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – .

الكلمات الدالة:

واقع–الدعوة–السيرة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين؛ سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين..

ثم أما بعد.

فإن الدعوة إلى الله تعالى من أشرف الأعمال، وإن من ينتسبون إليها يستمدون شرفهم وقدرهم من شرفها وقدرها، فالداعية في مهمته كالطبيب الذي يداوي المرضى، بل إن عمل الداعية أخطر من عمل الطبيب؛ فإن غاية الخسارة – وهي لا شك عظيمة– التي تنتج عن فشل الطبيب في مهمته أن يموت المريض فيخسر حياته، أما فشل الداعية في مهمته فخسارته لا تتوقف على ضياع الدنيا فحسب، بل والآخرة أيضا، وذلك هو الخسران المبين، فالداعي يأخذ الناس إلى طريق الله ليبصرهم بربهم ويدلهم عليه، وكلما كان عارفاً بربه بصيراً به كلما كانت مهمته أيسر ونجاحه أوكد، وليس أدل على هذه المكانة وشرفها من قول الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ**﴾(١).

ومن هنا كان لابد من الاهتمام بمن يتصدون للدعوة إلى الله؛ حتى تقوم دعوتهم على أسس سليمة، تضمن لهم أداء هذه المهمة الخطيرة على أكمل وجه؛ ذلك أن الفشل هنا لن يكون للداعية وحده بل للدعوة ذاتها، وكم من ممارس للدعوة لم تثمر دعوته إلا قليلاً؛ لأنه دخل الميدان دون أن تكتمل أدواته، فضاع جهده وقل تأثيره؛ لأنه وضع بذرة في غير أرضها، أو أرادها أن تثمر في غير أوانها ! فضاعت البذرة وضاعت الثمرة، وأمثال هؤلاء كانوا عبئاً على الدعوة وأهلها.

ومن خلال رصد واقع الدعوة في عصرنا رأيت العديد من أوجه القصور التي أبعدت كثيراً من الدعاة عن مكان الصدارة والتوجيه، وأوجدت جفوة بينهم وبين المدعوين، كانت هذه الجفوة – من وجهة نظري – سبباً من أسباب الضعف ونتيجة له في نفس الوقت؛ أفقدت الداعية مكانته وأفقدته تأثيره على جمهوره.

وسوف أحاول معالجة ما أراه من قصور– من وجهة نظري – في واقع الدعوة في عصرنا، من خلال سيرة النبي ﷺ ، فهو سيد الدعاة وإمام المتقين، الذي

---

(١) سورة فصلت: ٣٣.

اصطفاه الله لحمل الرسالة، وأيده بأعظم كتاب.

ولا شك أن الفترة التي عاشها النبي ﷺ تحمل أقوم تاريخ للدعوة، فهي مسددة بالوحي، ورغم مرور السنوات الطوال على بعثته ﷺ، ورغم ما حاوله الأعداء بالدس والمكر والكيد، رغم كل ذلك فرسول الله محمد ﷺ ملء السمع والبصر، ومحبته والاقتداء به هما غاية المسلم في حياته، وهما سبيل النجاة في الدنيا والآخرة.

وبالإضافة لما سبق فإن سيرته ﷺ كانت حركة عملية واقعية بالدعوة، وهذا من أشد ألوان التأثير عند استنباط المنهج والأسلوب، ولا شك أن الحكم اليوم على استقامة منهج الدعوة أو اعوجاجه سيتضح من خلال هذا الميزان، الذي ينبغي أن توزن به مسيرة الدعوة، فبقدر قربه أو بعده من سيرته ﷺ ومنهجه يكون الحكم له أو عليه، فهو ﷺ القدوة الطيبة والأسوة الحسنة لمن أراد النجاة والفوز في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ (١).

وعندما أتحدث عن السيرة النبوية، فإن هذا لا يعني الاقتصار على ما جاء في كتب السيرة المتخصصة وحدها؛ وإنما يعني أن حياة النبي ﷺ بالأقوال والأفعال والتقريرات، التي وردت في القرآن والسنة وكتب السيرة والمصادر الأخرى، كلها محل نظر واعتبار، مع التركيز – ما أمكن – على ما صح من الروايات، ويبقى للكتب المتخصصة أولوية «لما تمتاز به من سهولة العرض، وتتابع الأحداث التاريخية واتصالها، ومراعاة الزمن في سردها، ومع ما تمتاز به أيضاً من أنها تقدم وصفاً مفصلاً للأحداث بحكم تخصصها»(٢).

ومن الجدير بالذكر أنني لن أستقصي كل أحداث السيرة، ولكنني سأرصد واقع الدعوة الحالي، وما أراه – من وجهة نظري – يحتاج إلى بيان وتوضيح، أو

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

(٢)مقال:أهم مصادر السيرة – د/أكرم ضياء العمري – على موقع: www.islamweb.net.

إلى نقد وتعديل، سأضعه في الميزان، وأسأل الله تعالى القبول والسداد.كما أنه في أثناء الرصد لأحداث السيرة النبوية، قد تتكرر معلومة أو رواية، يمكن استخدامها في أكثر من مكان وتحت أكثر من عنوان، ولكن الذي يوضحها هو موضع الاستشهاد بها تحت العنوان الذي وردت فيه.

وقد تناولت هذا البحث من خلال: مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، حاولت من خلالها رصد واقع الدعوة المعاصر، بما له وما عليه -من وجهة نظري- ووضعه على ميزان سيرة النبي ﷺ، في محاولة لطرح رؤية لعلاج ما أراه يحتاج إلى تقويم وتصويب، مهتدياً في ذلك بسيد الدعاة ﷺ، وقد جاءت خطة البحث على النحو التالي:

١- **المقدمة:** تناولت فيها أهم ما دعاني للكتابة في هذا الموضوع، وكيفية تناوله، وبيان بعض ما ييسر على القارئ الاستفادة منه بإذن الله تعالى.

٢- **الفصل الأول: واقع الدعوة في مجال الإعداد والتربية في ميزان السيرة النبوية:** ذكرت تحت هذا العنوان مبحثين، على النحو التالي:

المبحث الأول: دروس دعوية من واقع نشأته ﷺ وبداية الدعوة.

المبحث الثاني: دروس دعوية من تربيته ﷺ لأصحابه.

٣- **الفصل الثاني: واقع الدعوة في مراعاة أحوال المدعوين:** ذكرت تحت هذا العنوان عدة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: فهم عقلية المدعوين وطريقة التعامل معهم.

المبحث الثاني: مراعاة طباع المدعوين الشخصية.

المبحث الثالث: تركيز الأمر والنهي على المهم حسب الظروف والأحوال.

المبحث الرابع: توجيه الأمر والنهي مع مراعاة أحوال المدعوين العلمية.

المبحث الخامس: مراعاة أحوال المدعوين الإيمانية.

المبحث السادس: مراعاة الظروف الخاصة والأحوال العامة.

المبحث السابع: جواز المداراة وحرمة المداهنة.

المبحث الثامن: عدم إثارة ماضي المدعوين.

٤- **الفصل الثالث: واقع الدعوة في استخدام الوسائل والأساليب في ميزان السيرة النبوية:** ذكرت تحت هذا العنوان عدة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: تعريف الوسيلة والأسلوب.

المبحث الثاني: الدعوة إلى الله بالعمل والقدوة.

المبحث الثالث: الخطبة من أهم وسائل الدعوة.

المبحث الرابع: فتح باب الحوار، مع سهولة الأسلوب وبساطة الطرح.

المبحث الخامس: استخدام الوسائل الإيضاحية في الدعوة.

المبحث السادس: وسيلة الرسائل وعالمية الدعوة.

٥- **الخاتمة:** تناولت فيها أهم ما ورد في هذا البحث، وبينت أهم النتائج والتوصيات، راجياً الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي فيه متقبلاً ولوجهه خالصاً، وأن يغفر لي ما فيه من تقصير أو زلل، فما أردت إلا الخير والإصلاح، وحسبي ما حكاه القرآن الكريم عن نبي الله شعيب عليه السلام في قوله: ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د/علي عثمان منصور شحاته

الدمام في يوم الجمعة

٥ /٣ /١٤٣١هـ =٢٠/ ٢ / ٢٠١٠م

(١) سورة هود: ٨٨.

الفصل الأول

واقع الدعوة في مجال الإعداد والتربية في ميزان السيرة النبوية

لا شك أن الداعية ابن بيئته، وأن العوامل السائدة في مجتمعه تؤثر فيه سلباً وإيجاباً، ولأن مهمته هداية الناس إلى الحق، وترسيخ كل ما هو إيجابي، وإبعادهم عن كل سلبي من الأقوال والأفعال والتصورات؛ لأجل كل ذلك كانت عملية الإعداد والتربية للدعاة من الأهمية بمكان «فكل إنسان يولد بتوجهات خاصة ورثها من أصوله، ونماها في بيئته، والتسامي بهذه التوجهات مسئولية التربية والمربين»(١).

فمن المهم هنا أن يتعلم الداعية كيف يغير الناس ويأخذ بأيديهم إلى طريق الله، ولا يقل أهمية عن ذلك، أن يتعلم كيف يغير نفسه، ولا شك أن النجاح في أداء المهمة الأولى مرتبط بالنجاح في اجتياز الاختبار مع نفسه، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾(٢).

فإعداد الداعية وتربيته يستدعي التخلي – ما أمكن – عن سلبيات الواقع الذي يعيش فيه، والتحلي – ما أمكن – بما سيدعو الناس إليه، وهذه عملية تحتاج إلى علم وفهم وتقوى لله عز وجل، حتى إذا أمر أو نهى كان قدوة في التزام ما أمر واجتناب ما نهى، وحتى لا يكون ممن قال الله فيهم: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ (٣). ومن قال فيهم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾ (٤).

ولن يتحقق ذلك إلا بالتربية والقدوة العملية، التي تستغرق وقتاً طويلاً وجهداً أكبر، يقول الشيخ عدنان آل عرعور: «لم يكتف الله تعالى لهداية الناس بإنزال

---

(١) الدعوة الإسلامية.. أصولها – وسائلها – أساليبها.. في القرآن الكريم– د / أحمد غلوش، ط١، مؤسسة الرسالة ناشرون – مصر ص ٤٨٢.

(٢) سورة الرعد: ١١.

(٣) سورة البقرة: ٤٣.

(٤) سور ة الصف: ٢ ، ٣.

الكتب، إذ كان الله قادرًا على أن يُنزل في كل بيت صحفاً تتلى، أو كتاباً بالصوت ينطق.. وأن يريح الأنبياء من العناء، والرسل من الابتلاء، ولكن العملية التربوية إذ ذاك لن تحصل، لأن التربية لا تكون إلا بمرب يَتتبَّع، وبمدرب يُدرب، وبموجه يُصحح، وبأب يَحنُو، وبشيخ يَعطف، ولا تكون إلا في تجارب تُصوَّب أو تُخَطِّأ.. هكذا كانت حياة الأنبياء بين أقوامهم عليهم الصلاة والسلام جميعاً.. وبخاصة رسولنا الكريم محمد ﷺ كان يربي أصحابه بكل ما في هذه الكلمة من معنى، حتى أخرج الله على يده ﷺ جيلاً أصبح قدوة للعباد، ومنارات في البلاد ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم..** ﴾(١)...»(٢).

وميزان السيرة النبوية خير شاهد على ما ذكرنا؛ ففي حياة النبي ﷺ ونشأته دروس وعبر كثيرة، يمكن أن تقوّم السبيل، وأن تعيد الدعاة إلى المنهج الصحيح في مجال التربية والإعداد، حيث كانت نشأته ﷺ وأخلاقه قبل الإسلام ممهداً السبيل لدعوته بعد البعثة، كذلك في تربيته ﷺ لأصحابه عظات كثيرة أيضاً؛ حيث إن عملية الإعداد والتربية لصحابة رسول الله ﷺ قد أخذت وقتاً طويلاً، فكان العهد المكي هو مكانها، وكانت الأحداث التي مرت فيه تجارب عملية وتربية متأنية واثقة الخطى، تعد هؤلاء الرجال لحمل أعباء الرسالة للعالمين، ولقد نجحت التربية واستعدت النفوس التي خرجت من مدرسة النبوة لأداء مهمتها، ووقفت في وجه قوى البغي التي اعترضت طريقها، وأثمرت في ذلك ثمرات عظيمة نعيش نحن علي جناها إلى اليوم.

ومن هنا فأنا أحاول – قدر المستطاع – رصد واقع الدعوة اليوم في مجال الإعداد والتربية، محيلاً على سيرة النبي ﷺ، في معالجتها والحكم عليها، وذلك من خلال المبحثين التاليين:

---

(١) سورة الفتح: ٢٩.

(٢) انظر كتاب: منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر – للشيخ / عدنان بن محمد آل عرعور ، ط١، ٢٠٠٥، بدون، ص: ٢٣.

المبحث الأول

دروس دعوية من واقع نشأته ﷺ وبداية الدعوة

إن الدروس التي يمكن أن تفيد الدعاة، والتي أرصد من خلالها واقع الدعوة اليوم كثيرة، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تكون البيئة التي تتحرك من خلالها الدعوة اليوم أشد قسوة وصعوبة من البيئة التي نشأ وتحرك فيها النبي ﷺ؛ ومع ذلك فقد «جمع النبي ﷺ في نشأته خير ما في طبقات الناس من ميزات، وكان طرازًا رفيعًا من الفكر الصائب، والنظر السديد، ونال حظًا وافرًا من حسن الفطنة وأصالة الفكرة وسداد الوسيلة والهدف، وطالع بعقله الخصب وفطرته الصافية صحائف الحياة وشئون الناس وأحوال الجماعات، فعاف ما سواها من خرافة، ونأي عنها، ثم عاشر الناس على بصيرة من أمره وأمرهم، فإن وجد حسناً شارك فيه وإلا عاد إلى عزلته العتيدة، فكان لا يشرب الخمر، ولا يأكل مما ذبح على النصب، ولا يحضر للأوثان عيداً ولا احتفالاً، بل كان من أول نشأته نافراً من هذه المعبودات الباطلة، حتى لم يكن شيء أبغض إليه منها، وحتى كان لا يصبر على سماع الحلف باللات والعزى»[(١)].

وبناء على ذلك فإنني أود أن أضع أيدي الدعاة اليوم على بعض هذه النقاط من حياة النبي ﷺ، والتي يمكن أن يستفاد منها اليوم، في الإعداد والتربية، متمثلة في المطالب التالية:

المطلب الأول: الأخذ بالأسباب لكسب الرزق

لا شك أن دائرة عمل الداعية هي المجتمع الذي يعيش فيه، ولو نشأ الداعية بعيداً عن المجتمع، ولم يخبر عملياً بما يدور فيه، فلن يستطيع أن يتعامل مع هذا المجتمع تعاملاً سليماً بفهم وفقه لواقعه؛ حيث إن ذلك من أهم أسباب نجاحه، فإذا

---

(١) الرحيق المختوم – صفي الرحمن المباركفوري، مكتبة النور الإسلامي، الإسماعيلية ، مصر، بدون ، ج ١/ ٤٨ باختصار.

جمع الداعية بين العلم بالدين وبين فقه الواقع فإنه سيكون الأقدر على دعوة الناس والتأثير فيهم، ولقد عرفنا كيف كانت سيرة النبي ﷺ ونشأته معيناً مهماً له على أداء الرسالة، وبنظرة على ما ورد في كتب السيرة عن أعماله ﷺ، وعن أخذه بالأسباب لطلب الرزق في هذه الفترة، ترينا ذلك بوضوح، فأشير – على سبيل المثال – إلى ما يلي:

١– رعي الغنم: لقد كان رعي الغنم عملاً يحصل القائم به على أجر في مكة، ولقد كان النبي ﷺ يرعى الغنم في مكة، وأخبر ﷺ عن نفسه وعن إخوانه من الأنبياء أنهم رعوا الغنم، قال ﷺ: «**ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم**» فقال: أصحابه: وأنت؟ قال: «**نعم،كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**»(١). وقد أورد الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث أقوال العلماء في ذلك فقال: الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة؛ أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصِّل لهم الحلم والشفقة، لأنهم إذا صبروا على رعيها، وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة، ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها، فجبروا كسرها ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التعاهد لها... (٢).

ولقد ذكر كثير من الباحثين حكاية رعيه ﷺ للغنم، وبينوا الخصال التربوية التي تركتها هذه الحرفة على شخصيته ﷺ، من الصبر، والتواضع، والشجاعة، والرحمة والعطف، وحب الكسب من عرق الجبين، كما ورد عن النبي ﷺ قوله: «**ما أكل أحد طعاما قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله**

(١) صحيح البخاري كتاب الإجارة– باب: رعي الغنم على قراريط ص / ٥٣٩ (ح: ٢٢٦٢) – و القيراط جزء من الدينار أو الدرهم.

(٢) فتح الباري لابن حجر، مكتبة الرياض، المملكة العربية السعودية، بدون، ج ٧ / ص ٩٩.

داود -عليه السلام- **كان يأكل من عمل يده»**[١]. كذلك تذكرنا رعايته للغنم بأحاديثه ﷺ التي توجه المسلمين للإحسان للحيوانات، فكان رعي الغنم للنبي ﷺ دربة ومراناً له على سياسة الأمم، فقد ألف العمل والكفاح منذ طفولته، واعتاد أن يهتم بما حوله، ويبذل العون للآخرين[٢].

٢- العمل والتجارة: فقد عمل النبي ﷺ بالتجارة في مكة، وتاجر في مال السيدة خديجة رضي الله عنها، وقد كان لتعاملاته المالية الطيبة أثر كبير في زواجه بالسيدة خديجة رضي الله عنها، ولم تكن تجارته في مال السيدة خديجة وحدها؛ «فقد ورد أنه كان يتجر مع السائب بن أبي السائب المخزومي فكان خير شريك له، لا يداري ولا يماري، وجاءه يوم الفتح فرحب به، وقال: مرحبًا بأخي وشريكي»[٣]. لقد كان عمله ﷺ بالتجارة عملاً مثالياً يتسم بالشرف والأمانة والصدق وكريم الأخلاق، يقول د / الصلابي: «إن التجارة مورد من موارد الرزق التي سخرها الله لرسوله ﷺ قبل البعثة، وقد تدرب النبي ﷺ على فنونها، وقد بين النبي ﷺ أن التاجر الصدوق الأمين يُحشر مع الصديقين والشهداء والنبيين، وهذه المهنة مهمة للمسلمين، ولا يقع صاحبها تحت إرادة الآخرين واستعبادهم وقهرهم وإذلالهم، فهو ليس في حاجة إليهم، بل هم في حاجة إليه وبحاجة إلى خبرته وأمانته وعفته»[٤].

ولا شك أن السمعة الطيبة التي يكتسبها الإنسان من خلال المعاملات المالية يدوم أثرها ويتعمق في النفوس تأثيرها؛ لأن النفوس كثيراً ما تضعف أمام إغراء

---

(١) البخاري، كتاب البيوع – باب: كسب الرجل وعمله بيده – ص: ٤٩٩ (٢٠٧٢).

(٢) انظر: أ- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، د/ علي محمد الصلابي، ط١، مؤسسة اقرأ بالقاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، ج١/ ٥١-٥٣.

ب- السيرة النبوية الصحيحة د/ أكرم ضياء العمري، ط١، المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن، بدون، ج١ / ١٠٦.

(٣) الرحيق المختوم للمباركفوري: ص ٤٦.

(٤) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث- للصلابي – ج١/ ٦٠.

المال، فإذا ثبت الإنسان على مبدأه حينئذ فهذا دليل على صدق خصاله، ورسوخها في النفس، وتمكنها منها.

ولو كان الإنسان فقيراً، فلجأ إلى عمل شريف لتحصيل رزقه، فهل يقف عمله هذا في طريق دعوته؟ وهل يعيق ذلك قبول الناس لها؟ أقول: إن العمل إذا كان طيباً وكان الكسب طيباً؛ فإن ذلك مما يدعم موقف الداعية ولا يعيقه أبداً، وإذا كان المجتمع لا يقبل دعوة صالحة من إنسان لأجل ذلك فقط، فإن العيب في المدعوين وليس في الداعي، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة وقدوة طيبة؛ حيث كانت صفاته الطيبة التي رسخها في أعماله واتصاله بالناس قبل البعثة، ذات أثر كبير طيب في نفوس الناس، وشهادتهم بصدقه بعد البعثة؛ فهو الصادق الأمين، وهو الذي عرفه الناس يرعى الغنم، ويتاجر ويكد ويكدح لتحصيل رزقه؛ ليكف نفسه ويساعد عمه.

يقول الأستاذ / سعيد حوي: «يتحدث بعض العلماء عن الأخذ بالأسباب، وعن التجريد في موضوع كسب القوت، ويعتبرون كلاً منهما في محله هو الكمال، وهكذا كان شأن رسول الله ﷺ، فقد كانت حياته قبل النبوة عملاً متواصلاً لكسب القوت، فمن رعي غنم إلى رعي إبل إلى تجارة، ومن إجارة إلى شركة، وقد استمر هذا بعد النبوة ضمن حدود، حتى إذا اقتضت الدعوة الإسلامية تجريداً لم يبق لمحاولة الكسب محل، فكان التجريد على أكمله، فحتى فتحت خيبر لم يكن له ﷺ معلوم في الرزق، بل هو الزهد والعفة والتوكل، وكلا المقامين من أعلام نبوته ﷺ»[1].

وهناك إشارة أخرى في هذا الجانب ذكرها صاحب فقه السيرة، وهي: «أن صاحب الدعوة، لن تقوم لدعوته أي قيمة في الناس إذا ما كان كسبه ورزقه من وراء دعوته، أو على أساس من عطايا الناس وصدقاتهم. ولذا فقد كان صاحب

(١) الأساس في السنة وفقهها (السيرة النبوية)، سعيد حوي، ط٣، دار السلام بالقاهرة، ١٤١٦ - ١٩٩٥م، ج ١ / ١٦٨.

الدعوة الإسلامية أحرى الناس كلهم في أن يعتمد في معيشته على جهده الشخصي أو مورد شريف لا استجداء فيه؛ حتى لا تكون عليه لأحد من الناس منة أو فضل في دنياه؛ فيعوقه ذلك عن أن يصدع بكلمة الحق في وجهه غير مبال بالموقع الذي قد تقع منه نفسه»(١).

وإذا كنت لا أرى عيباً في العمل والكد لتحصيل الرزق –كما بينت– فإنني أرى مع ذلك أن انخراط الدعاة المؤهلين للدعوة في العمل والتجارة والبيع والشراء، ليس محموداً – وإن كان حلالاً – لأنه قد يجعله يهمل دعوته التي ينبغي أن يمنحها كل وقته، وفي المقابل لابد أن يعان الداعية من بيت المال، وأن تكفل له الدولة حياة كريمة له ولمن يعولهم؛ ليتفرغ لرسالته التي حمله الله إياها. «وليتحول – كما قال د/ محمود عمارة – من تجارة الدنيا إلى تجارة الآخرة»(٢).

المطلب الثاني: المشاركة في أعمال الخير والبر، والبعد عن مواطن الشبه

لا بد للداعية من مشاركة فاعلة في الأعمال الجليلة التي يجتمع عليها الناس، والتي تعتبر علامات بارزة في المجتمع الذي يعيش فيه، كبناء مسجد أو دار من دور العلم، أو مؤسسة لأعمال البر والخير إلى غير ذلك، فهذه المشاركة الفاعلة تترك أثراً طيباً في نفوس الناس، والسلبية هنا أو سلوك سبيل مغاير لن تفيد الداعية، بل تؤثر سلباً على دعوته، وتعطي للمتربصين به فرصة للطعن فيه، وفي ولائه لمجتمعه وحبه له وحرصه على مصالحه، وإذا نظرنا إلى ما يدعم المشاركة في أعمال البر والخير، والبعد عن مواطن الشبه، من حياة النبي ﷺ قبل البعثة فإننا سنجد ما يلي:

١– حفظ الله تعالى لنبيه ﷺ قبل البعثة وبعدها: البعد ما أمكن عن مواطن

(١) فقه السيرة – د/ محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر: بيروت– لبنان، دار الفكر: دمشق– سوريا– بدون، ص ٥٠.

(٢) تأملات في السيرة النبوية، د/محمود محمد عمارة، ط١، دار الخير: بيروت – دمشق، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م، ص ٤٤.

الشبه، وعن القبيح من القول والفعل، وتربية الدعاة على الطهر والعفاف، وإعانتهم على ذلك، من الأهمية بمكان؛ فإن الفشل في الدعوة يرجع – في كثير من الأحيان – إلى ما تحتفظ به ذاكرة الناس للداعية من أعمال قد تكون من الصغائر؛ ولكنها تحولت في أعين الناس إلى كبائر؛ لأنها تلتصق اليوم بمن ينفرهم منها ويذكرهم بسوئها. ولعل هذه الإشارة تؤخذ من سيرة النبي ﷺ، حيث صانه الله تعالى قبل البعثة عن الوقوع فيما يمكن أن يشوش عليه بعدها، ومن ذلك ما رواه البخاري عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «**لَمَّا بُنِيَتْ الْكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَعَبَّاسٌ يَنْقُلَانِ الْحِجَارَةَ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ. فَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ، وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: أَرِنِي إِزَارِي فَشَدَّهُ عَلَيْهِ» زَادَ زَكَرِيَّا بْن إِسْحَاق: «فَمَا رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ عُرْيَانًا»**[(١)].

ومن ذلك أيضاً ما رواه الحاكم عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما هممت بما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين من الدهر كلاهما يعصمني الله تعالى منهما. قلت ليلة لفتى كان معي من قريش في أعلى مكة في أغنام لأهلها ترعى: أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما تسمر الفتيان، قال: نعم فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف وزمر، فقلت: ما هذا؟ قالوا: فلان تزوج فلانة لرجل من قريش تزوج امرأة، فلهوت بذلك الغناء والصوت، حتى غلبتني عيني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس.. ثم رجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما فعلت شيئاً» ثم قال رسول الله ﷺ: «**فو الله ما هممت بعدها أبداً بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله تعالى بنبوته**»[(٢)]. وفي تعليقه على هذه الأحاديث يقول صاحب الأساس في السنة: «في هذه الأحاديث مظهر من مظاهر حفظ الله لرسوله ﷺ من

---

(١) فتح الباري لابن حجر – ج ٥/ ٢٣٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم – ج ٣٧٥/٤ (٧٧٠٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وضعفه الألباني في تخريج أحاديث فقه السيرة للغزالي.

كل ما يتنافى مع الهمة العلية والسيرة المرضية، فالمرشحون لجلائل الأعمال لا يليق بهممهم أن تتوجه لمثل هذه الأفعال»(١).

٢- مشاركة النبي ﷺ في حلف الفضول: لقد شهد النبي ﷺ هذا الحلف، وقال عنه: «**لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان، ما أحب أن لي به حمر النعم**»(٢). وقد ذكره العمري في السيرة الصحيحة، وعلق عليه بقوله: «لا شك أن العدل قيمة مطلقة وليست نسبية، وأن الرسول ﷺ يظهر اعتزازه بالمشاركة في تعزيز مبدأ العدل قبل بعثته بعقدين، فالقيم الإيجابية تستحق الإشادة بها حتى لو صدرت من أهل الجاهلية»(٣).

ولا شك أن الإشارة إلى حلف الفضول هنا ومشاركة النبي ﷺ فيه؛ توجيه للدعاة اليوم إلى سلوك نفس السبيل، فالقيم العظيمة التي لا يختلف أحد على مكانتها وإيجابيتها، لا يمكن أن يفوت على الدعاة مشاركتهم فيها، بل وقيادة العمل بها، ودعوة الناس إليها، ووجود رصيد كبير للداعية في هذا الجانب يرسخ حبه في قلوب الناس، ومن ثم النجاح في دعوته لهم، وترسيخ قدمه بين صفوفهم.

٣- مشاركته ﷺ في بناء الكعبة، ودوره في حل مشكلة الحجر: ذكرت في السابق حديث البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، الذي يبين مشاركة النبي ﷺ مع عمه وقومه في بناء الكعبة المشرفة، وأضيف إلى المشاركة هنا العمل الإيجابي الذي لا ينسى؛ وهو مسألة تحكيمه ﷺ في وضع الحجر في مكانه، هذا الحكم الموفق الذي حقن به الدماء، ورضيه الجميع عن طيب خاطر لأنه من الصادق الأمين، ولأنه أرضى النفوس، وألف الله به القلوب.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: إن أهل مكة لما اختلفوا في وضع الحجر في مكانه في

---

(١) سعيد حوي – ج ١ / ١٧٠.

(٢) فقه السيرة للغزالي، ط٧، دار القلم، دمشق، ١٩٩٨م، وقد صححه الألباني في حاشية الكتاب ص/ ٥٨.

(٣) السيرة النبوية الصحيحة – ص / ١١٢.

الكعبة بعد إعادة بنائها، حتى كادوا يقتتلوا، ثم ارتأوا أن يحكموا أول داخل من باب المسجد، فَكَانَ أَوّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَلَمّا رَأَوْهُ قَالُوا: **هَذَا الْأَمِينُ رَضِينَا، هَذَا مُحَمّدٌ**؛ فَلَمّا انْتَهَى إلَيْهِمْ وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ قَالَ ﷺ: هَلُمّ إلَيّ ثَوْبًا، فَأُتِيَ بِهِ فَأَخَذَ الرّكْنَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ. ثُمّ قَالَ لِتَأْخُذَ كُلّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنْ الثّوْبِ ثُمّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا، فَفَعَلُوا: حَتّى إذَا بَلَغُوا بِهِ مَوْضِعَهُ وَضَعَهُ هُوَ ﷺ بِيَدِهِ ثُمّ بَنَى عَلَيْهِ[١].

إن الأحكام المسددة التي تصدر عن الداعية في الأمور التي تشغل الناس، فيقضي فيها برأي مستند إلى الدليل الشرعي، المنطلق من فقهه للواقع، من الأمور التي لا تمحى بسهولة من ذاكرة الناس، وهي توضع في رصيد الداعية، وتدعم مكانته وتأثيره في جمهوره، وهذا هو المطلوب.

٤- شهادة السيدة خديجة رضي الله عنها: لما جاءه الوحي في غار حراء، ورجع يرجف فؤاده؛ فَدَخَلَ عَلَيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِها وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ[٢]، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ[٣]، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ[٤]..[٥].

فعلى الداعية أن يقوي علاقته بمجتمعه وذوي رحمه وقرابته، ويوثق صلته بهم،؛ بأن يكون معهم في عسرهم ويسرهم، يعين ضعيفهم، ويواسي مصابهم، ويجبر كسرهم، فهو يرجو الخير لهم، ويخلص لهم النصح والتوجيه، ليس متعالياً عليهم، بل هو واحد منهم، حين احتاجوا إليه كان معهم، وحين وجد الخير دعاهم

---

(١) سيرة ابن هشام – تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ج١/ ٢٢٣، ٢٢٤ بتصرف يسير.

(٢) تحمل الكل: تنفق على الضعيف، واليتيم والعيال، والكل أصله: الثقل والإعياء.

(٣) وتكسب المعدوم: تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق.

(٤) نوائب الحق:الكوارث والحوادث.

(٥) صحيح البخاري – ك / التعبير- باب: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ ص: ١٧٢٩- (٦٩٨٢).

إليه، هكذا كانت حياة النبي ﷺ قبل البعثة وبعدها. وهذه هي القيم التي كان يتفق أصحاب الفطر المستقيمة عليها، حتى في العصر الجاهلي، ومن يفعل ذلك ويطبقه؛ لا يخزيه الله أبداً، وهو ما فهمته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها حين قالت: «كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ».

يشير ابن القيم إلى ذلك فيقول: وقال لها رسول الله ﷺ: لقد خشيت على نفسي فقالت له: أبشر فو الله لا يخزيك الله أبدا، ثم استدلت بما فيه من الصفات الفاضلة، والأخلاق والشيم، على أن من كان كذلك لا يخزى أبدا، فعلمت بكمال عقلها وفطرتها أن الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والشيم الشريفة تناسب أشكالها من كرامة الله وتأييده وإحسانه. (١).

المطلب الثالث: أهمية توثيق الصلة بالله ﷻ

توثيق الصلة بالله تعالى أمر مهم جداً بالنسبة للداعية؛ فهو يبلغ عن الله، ولن يتم له ذلك إلا إذا استمد التسديد والتوفيق من الله تعالى، فقد كان ﷺ يتعبد قبل البعثة ويخلو إلى ربه في غار حراء الليالي ذوات العدد. فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ – وَهُوَ التَّعَبُّد –ُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ.. (٢)».

وقد أخذ بعض أهل السلوك إلى الله من ذلك، فكرة الخلوة مع الذكر والعبادة في مرحلة من مراحل السلوك، «لتنوير قلبه وإزالة ظلمته وإخراجه من غفلته

(١) زاد المعاد ، لابن قيم الجوزية، ط٣، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م ، ج ٣ / ص ١٧ باختصار.

(٢) صحيح البخاري – ك / التعبير– باب: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ ص: ١٧٢٩– (٦٩٨٢).

وشهوته وهفوته، وبعضهم يركز على الاعتكاف في رمضان وغيره، أخذاً من حال رسول الله ﷺ في الابتداء والانتهاء»[١].

وإذا كان الحديث قد سبق عن دور الداعية في مجتمعه ومشاركته له في أفراحه وأتراحه؛ فهذا لا يمنع أبداً أن يكون له وقت يخلو فيه مع نفسه، يراجع فيه مسيرته، ويحاسب فيه نفسه، ويجلو فيه بصيرته؛ بالقرب من ربه سبحانه وتعالى، ليستمد منه العون والتوفيق والسداد، فهو يؤدي رسالة ربه ويريد التوفيق فيها، ولن يتم له ذلك إلا بالعودة إلى الله والتذلل بين يديه، والانقطاع عن الدنيا وشواغلها، ولو لوقت قصير يخصصه لهذه الغاية العظيمة، والمهمة النبيلة التي كلفه الله تعالى بها.

وعن الربط بين العبادة والعمل في حياة النبي ﷺ، يقول الأستاذ / مصطفى الزرقاء: «لقد جمع الرسول ﷺ جمعاً فريداً في التاريخ بين أعلى درجات التنقية الروحية بالاجتهاد في عبادة الله تعالى، وأعلى درجات النشاط والعمل جهاداً وبناء»[٢].

ولقد كان النبي ﷺ يربي أصحابه على عينه، ويوجههم نحو توثيق الصلة بالله، والتقرب إليه بالعبادة، ثم نزلت هذه الآيات في المرحلة المكية ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً**﴾ [٣] تأمر النبي ﷺ أن يخصص شطراً من الليل للصلاة.. فقام وأصحابه معه قريباً من عام حتى ورمت أقدامهم، ثم نزل التخفيف عنهم رحمة من ربهم، فقال تعالى: ﴿**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**﴾ [٤].

---

(١) الأساس في السنة وفقهها (السيرة النبوية) سعيد حوي: ١/ ١٩٥.

(٢) عظمة محمد خاتم رسل الله، مصطفى الزرقاء، ط١، دار القلم – دمشق ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ص/ ١٢.

(٣) سورة المزمل: ١ – ٦.

(٤) سورة المزمل: ٢٠.

«ولا شك أن امتحانهم في هجر الفراش ومقاومة النوم ومألوفات النفس لتربيتهم على المجاهدة، وتحريرهم من الخضوع لأهواء النفس؛ تمهيداً لحمل الأمانة وتبليغ الدعوة، وتعديل مسار البشرية، وإنقاذها من الانحرافات الخطيرة، وتسديدها نحو توحيد الله وطاعته.. وقد ظهر أثر هذا الإعداد الدقيق للمسلمين الأوائل في قدرتهم على تحمل أعباء الجهاد وإنشاء الدولة بالمدينة، وفي إخلاصهم العميق للإسلام وتضحيتهم من أجل تطبيقه في واقع الحياة ونشره بين العالمين»(١).

ولا شك أن العبادات بعامة والصلاة بخاصة تقوم بهذا الدور؛ فهي سر بين العبد وربه، وهي تمنحه سكينة النفس وراحة القلب، وهي تحجزه عن المعاصي التي تقطع علاقته بخالقه ومولاه، قال تعالى: ﴿**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾ (٢).

وإذا كان الوحي قد جاء للنبي ﷺ وهو في غار حراء، فإن على المهتمين لأمر الدعوة أن تكون لهم هذه الخلوة وهذا الانقطاع لله تعالى وعبادته، فالداعية إلى الله بوجه خاص بحاجة ماسة إلى زاد يعينه على مواصلة الدعوة، ومواجهة العوائق والعقبات، والمهتمون لأمر الدعوة يحتاجون لهذا الزاد عندما يتدارسون أمر الدعوة، ويضعون الخطط والمناهج والتصورات لنهضتها وتقدمها، أو يتأملون في واقعها، وما هي عليه من قوة أو ضعف، أو ينظرون في سلبياتها وإيجابياتها، وحينئذ يكون التوفيق والسداد حليفهم بإذن الله تعالى.

---

(١) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري ١/ ١٥٩، ١٦٠ بتصرف واختصار.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٥.

المطلب الرابع: أهمية وجود الزوجة الصالحة في حياة الداعية

الزوجة الصالحة المؤمنة هي المقدرة للرسالة التي يؤديها زوجها، وهي خير معين له على ذلك، فليحرص الداعية على الاقتران بها، وليبحث عن ذات الدين، التي تعينه على أمر الدعوة وتضحياتها ومتطلباتها، والتي قد تتحمل في سبيل ذلك كثيراً من ضغط الحياة وشدتها، فقد قال ﷺ: «**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**»(١).

ولا شك أن السيدة خديجة بنت خويلد «رضي الله عنها»قد أعطت القدوة الصالحة في ذلك حين واست رسول الله ﷺ، وأعانته على أمر الرسالة والدعوة، حيث كان يتعبد الليالي الطوال ولا يعود إلا ليتزود لغيرها، ولا يتحمل ذلك إلا المرأة المقدرة لزوجها المحبة له، والعارفة بما هو عليه من الصلاح والتقوى، وحين جاء يرجف ويقول زملوني، هدأته وطمأنته حتى ذهب عنه الروع، وواسته بما تعرفه من كريم أخلاقه، وطيب خصاله، والذي يكون كذلك فلن يخزيه الله أبداً.

يشير النووي إلى ذلك بقوله: «وفيه دلالة على أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء، وفيه تأنيس من حصلت له مخافة من أمر، وتبشيره وذكر أسباب السلامة له، وفيه أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال خديجة (رضي الله عنها) وجزالة رأيها، وقوة نفسها، وثبات قلبها، وعظم فقهها»(٢).

كما يقول الشيخ / الغزالي: «إن خديجة من نعم الله الجليلة على رسول الله محمد ﷺ؛ فقد آزرته في أحرج الأوقات، وأعانته على إبلاغ رسالته، وشاركته مغارم الجهاد المر، وواسته بنفسها ومالها... فهي صدِّيقة النساء، حنت على رجلها ساعة قلق، وكانت نسمة سلام وبر، رطبت جبينه المتصبب من آثار الوحي، وبقيت ربع قرن معه، تحترم قبل الرسالة تأمله وعزلته وشمائله، وتحمل بعد الرسالة كيد

(١) صحيح مسلم: كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة – حديث:٢٧٤٦.
(٢) شرح النووي على مسلم، بيت الأفكار الدولية: الأردن – السعودية – المؤتمن للتوزيع بالرياض – بدون، ص ١٩٦.

الخصوم وألم الحصار ومتاعب الدعوة»[١].

وعلى ذلك فإن على الدعاة أن يحسنوا اختيار الزوجة الصالحة، ويبادروا إلى الزواج المبكر، وأن يعانوا على ذلك، إن كانوا غير قادرين، حتى يتفرغوا لأداء هذه المهمة الجليلة، وهذه الرسالة العظيمة، التي في صلاحها صلاح وفلاح للأمة كلها.

المطلب الخامس: دعوة الأقربين

ليس شرطاً في نجاح الداعية أن ينجح في دعوة أقاربه وأهله، فقد يؤدي واجبه ولكنهم لا يقبلون الدعوة، أو لا يتحمسون لها، المهم أن يبذل ما في وسعه معهم؛ لأنهم إن أجابوه فإن ذلك سيدعم مركزه بين الناس، لأن من يفشل في إقناع أقاربه وذويه بدعوته، لن ينجح – غالباً – في دعوة الآخرين، قال الحافظ ابن حجر: «والسر في الأمر بإنذار الأقربين أولاً، أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم، وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع، وأن لا يأخذه ما يأخذ القريب من العطف والرأفة، فيحابيهم في الدعوة والتخويف، فلذلك نَصَّ له على إنذارهم»[٢].

فالأقارب والعشيرة أحق الناس بالنصيحة والتذكير والإحسان؛ ولهذا قال ﷺ:«**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة**»[٣]. «إن أصل الفطرة أن يحب الإنسان أقاربه وأرحامه، وأن يحرص على ما ينفعهم وأن يبعد عنهم ما يضرهم، والداعية إلى الله همه الأول أن ينقذ الناس من النار، فإذا ما أهمل أقرب الناس إليه، فكأنه يدلل على عدم صدقه في

(١) فقه السيرة: ص ٩٥، ٩٦ بتصرف.

(٢) فتح الباري لابن حجر: ٨/ ٥٠٣.

(٣) صحيح سنن الترمذي للألباني: ك/ الزكاة ب/ ما جاء في الصدقة على ذي القرابة – ١/ ٣٥٧، ٣٥٨. وقال أبو عيسى: حديث حسن، ط١، مكتبة المعارف: الرياض،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

دعوته»[١].

ويدخل في معنى الأقارب والعشيرة من كانوا مجاورين للعالم أو الداعية في حيه أو قريته أو محيطه الذي يعيش فيه؛ فهو وارث النبي ﷺ لقوله ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[٢]. وهو يتحمل من المسؤولية ما لا يتحمله بقية أفراد المجتمع لما آتاه الله من حجة[٣].

ولقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بإنذار عشيرته الأقربين فقال:﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ [٤]. وقد دعا رسول الله ﷺ عشيرته بني هاشم، فجاءوا ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف، فكانوا نحو خمسة وأربعين رجلًا. فلما أراد أن يتكلم رسول الله ﷺ أعترضه أبو لهب.... فسكت رسول الله ﷺ ولم يتكلم في ذلك المجلس.ثم دعاهم ثانية وقال: «**الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأومن به وأتوكل عليه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له**». ثم قال: «**إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً**» فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقاً لحديثك. وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم، غير أني أسرعهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت به. فو الله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب[٥].

وإذا كانت دعوة أقاربه ﷺ وعشيرته قد أنتجت أمثال عمه أبي لهب في

---

(١) الأساس في السنة ج١/ ٢٣٧.

(٢) صححه الألباني في: صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته – ج٢/ ١٠٧٩– حديث رقم (٦٢٩٧)، ط٣، المكتب الإسلامي: بيروت، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

(٣) تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ وفقه الدعوة منه. د عبد الرحمن بن سليمان الخليفي، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض – العدد: ٢١ – محرم: ١٤١٩ هـ، ص/ ٢٨١.

(٤) سورة الشعراء: ٢١٤.

(٥) الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري: ٦٠.

معاداته وشدته، فلا ينبغي أن ننسى أن من كانوا حول النبي ﷺ من أقاربه، وبعض من لم يؤمن به منهم،كانوا سنداً ودعماً للدعوة في أول عهدها، ولقد عُرف العام الذي توفي فيه أبو طالب عم النبي ﷺ، والسيدة خديجة رضي الله عنها بعام الحزن، لا لشيء إلا لمعنى العون والمساندة المادية والمعنوية التي كان يلقاها رسول الله ﷺ من وجودهما إلى جانبه.

ومن الجدير بالذكر أن علاقة القربى تنفع صاحبها داعية ومدعواً إذا اقترنت بطاعة الله تعالى والإيمان به، فإذا انفصم هذا الأمر، فلا يغني أحد عن أحد شيئاً، مهما كانت قرابته ورحمه.

المطلب السادس: دار الأرقم وبداية ترسيخ مبدأ العمل الجماعي

لا شك أن من أهم أسباب النجاح لأي دعوة، أن يحملها من يؤمنون بها، وكلما تآلفت قلوبهم، واجتمعت كلمتهم، كان النصر والتوفيق حليفهم، إن أول من حمل الدعوة جماعة أخلصوا لله، اجتمعوا على طاعته ونصرته، وتحملوا في سبيل دعوتهم أشد ألوان الاضطهاد والعذاب، هؤلاء الذين أمر الله نبيه ﷺ أن يكون معهم، قال تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾(١).

إن العمل الدعوي عمل جماعي في الأساس، ومن خاطبهم الله في القرآن وأمرهم بالدعوة إلى الخير والتفقه في الدين وإنذار قومهم هم أمة وطائفة؛ قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (٢). وقال: ﴿**فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾(٣).

والدعوة ليست إرثاً يقتتل عليه الدعاة، وليست مأرباً دنيوياً يتنافسون في تحصيل عوائده أيهم يحوزه ويجمعه، إنها رسالة وأمانة، فإذا كانت الغاية خالصة

(١) سورة الكهف: ٢٨.
(٢) سورة آل عمران: ١٠٤.
(٣) سورة التوبة: ١٢٢.

لله؛ فلن يكون حينئذ للأنانية مكان، فلا بد من التكامل، فمن نقص في جانب سد الآخر نقصه؛ حتى يخرج العمل في النهاية منظماً مرتباً نافعاً للجميع، وإن من أخطر معوقات الدعوة، النزاعات والخصومات بين الدعاة، أو بين الجماعات الإسلامية، مع أن معظم الخلافات في الاجتهادات، أو في أمور يمكن أن يعذر بعضهم بعضاً فيها.

فأين نحن من رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ﷺ الذين كانوا على قلب رجل واحد في دار الأرقم «هذه المدرسة التي وفق الله تعالى رسوله إلى تكوين الجماعة الأولى من الصحابة،حيث قاموا بأعظم دعوة عرفتها البشرية. لقد استطاع الرسول المربي الأعظم ﷺ أن يربي في تلك المرحلة السرية، وفي دار الأرقم أفذاذ الرجال الذين حملوا راية التوحيد والجهاد والدعوة، فدانت لهم الجزيرة، وقاموا بالفتوحات العظيمة في نصف قرن»(١).

إن الأعمال العظيمة في تاريخ هذه الأمة كان رائدها؛ التمسك بهذا الدين واجتماع كلمة الأمة عليه، في تآلف وتآخ لم تعرف البشرية له نظيراً، لأنه كان خالصاً لله، بدأه رسول الله ﷺ في دار الأرقم، في مرحلة الضعف والاضطهاد، ورسخ دعائمه في المدينة حيث البناء والانطلاق بالدعوة في ربوع الأرض «إن هذه الألفة والأخوة إذا تمت فإنها تقضي على الغش، والجبن، والبخل، والجشع والسعي وراء حظوظ النفس على أكتاف الآخرين، لأن هذه كلها نقيضة الأخوة، فلا يمكن أن تجتمع معها»(٢).

المبحث الثاني

(١) السيرة النبوية للصلابي – ج١/ ٩٣.

(٢) تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ وفقه الدعوة منه. د عبد الرحمن بن سليمان الخليفي ص/ ٢٨٥، ٢٨٦.

دروس دعوية من تربيته ﷺ لأصحابه

إن الفترة التي أعقبت تحمل النبي ﷺ أمانة التبليغ في مكة، من أخصب الفترات التي يمكن للدعاة اليوم أن يستنبطوا منها العظات والعبر التي تفيد الدعوة؛ فهي مرحلة الاختيار والانتقاء والعرض والإقناع، إنها مرحلة المحنة، مرحلة الاستضعاف والغربة، مرحلة قلة العدد وضعف النصير والمعين من البشر، إنها التدريب العملي على أداء الرسالة وتحمل أمانة الدعوة في أجواء ربما لن تتكرر بهذه الصورة، وإن تكررت فلن تزيد على ذلك، وإن زادت فهذه سيرة النبي ﷺ تثبِّت المؤمنين على الطريق، وتبشِّرهم بنصر الله تعالى لهم، كما نصر نبيهم ﷺ وصحبه الكرام؛ فأبدلهم بعد الخوف أمناً، وبعد الشدة فرجاً، وبعد القلة والضعف كثرةً وقوةً وتمكيناً في الأرض.

إنها فترة اتصال السماء بالأرض، عن طريق الوحي، «هذا الوحي الذي جاء بموضوع الدعوة وأساسها، وقد اشتمل على جميع احتياجات البشرية وفق فطرتها، ولأن هذه هي مميزات هذه الفترة؛ فيجب اعتكاف المهتمين بالدعوة على هذا الأساس ليأخذوا دعوتهم منه، فإن استشكل عليهم الفهم فليعودوا إلى فهم السلف الصالح لنصوص هذا الوحي؛ فهم خير من فهم مراد الشارع من تلك النصوص»(١).

ومن هنا فإذا أردت أن أضع أيدي دعاة اليوم على بعض هذه الدروس، من خلال دراسة السيرة النبوية؛ فإنني أتوكل على الله تعالى وأستمد منه العون والسداد، وأذكر ذلك في المطالب التالية:

---

(١) تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ وفقه الدعوة منه. د عبد الرحمن بن سليمان الخليفي ص/ ٢٧٤ بتصرف يسير.

المطلب الأول: التربية على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

لا شك أن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ أهم عدة للداعية، والداعية الذي يفرط في هذه العدة هو داعية فاشل بكل المقاييس، وللأسف الشديد يوجد كثير من دعاة اليوم – إلا من رحم الله – لا يحسنون التعامل مع الكتاب والسنة؛ فهماً واستدلالاً واستنباطاً ولا حتى عرضاً، وأصبح من المألوف أن تجد داعية لا يحفظ من كتاب الله إلا القليل، ومنهم من لا يستطيع أن يقرأ آية أو حديثاً قراءة صحيحة، بل إن كثيراً من الدعاة اليوم يدخلون ميدان الدعوة بمقومات شكلية تهتم بالظاهر أكثر من اهتمامها بالجوهر؛ فهو لا يستطيع أن يتعمق في قضية، أو يعرض لمشكلة تؤرق الناس، فيبحث عن حل لها، أو يعرض رأياً يستند إلى آية من كتاب الله أو حديث لرسول الله ﷺ، بل إن صلة بعضهم بالقرآن أو السنة لا تعدوا أن تكون كلاماً مكرراً سطحياً لا يجد فيه المدعو جديداً، ولا يرى فيه جهداً، ولا يلمس فيه فقهاً يمنحه الثقة في الداعية وفيما يقول، فيلقي له قياده ويسمع له ويطيع.

ومن المؤسف أن تجد كثيراً ممن يفترض تأهلهم للدعوة، لا يؤهلون فعلياً لذلك، فقد أوردت صحيفة المصريون في ٢٠٠٩/١٢/٢٣م خبراً مفاده: أنه من إجمالي خمسة عشر ألفاً ممن تقدموا لوظيفة إمام وخطيب في وزارة الأوقاف، رسب منهم عشرة آلاف في حفظ القرآن الكريم والخطابة، وهم من خريجي الكليات الأزهرية وكلية دار العلوم(*) (١).

ولو رجعنا إلى سيرة النبي ﷺ – كعادتنا في هذا البحث – فإننا سنجد غير ذلك؛ سنجد اهتماماً كبيراً بكتاب الله تعالى، وتركيزاً من الرسول ﷺ على تربية أصحابة بالقرآن «فقد كانت المادة الدراسية التي قام بتدريسها النبي ﷺ في دار الأرقم هي: القرآن الكريم، فهو مصدر التلقي الوحيد.. وهو وحده المنهج والفكرة

(*)في ظل سياسة تقليل أعداد المقبولين بكلية الدعوة الإسلامية ، ظهرت هذه المشكلة؛ وبالتالي لابد من زيادة أعداد المقبولين بالكلية مع توفير كل السبل والمرغبات لإنجاح العمل.

(١) من موقع الصحيفة على شبكة المعلومات الدولية: www.almesryoon.com

المركزية التي يتربى عليها الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والجماعة المسلمة»(١).

«إن القرآن هو أول كتاب باللغة العربية حرك وعي الإنسان قبل أربعة عشر قرناً، وفتح عقله على مكانه في الكون والحياة، وعرفه بالحقوق والواجبات التي تعمق وعيه الاجتماعي ونظرته الإنسانية، وقد كان النبي ﷺ يوضح ذلك كله بأقواله وسيرته الشخصية»(٢).

وإذا كان النبي ﷺ قد وجه أصحابه إلى الاهتمام بالقرآن وحده في هذه المرحلة؛ حتى لا تختلط تعاليم القرآن بتعاليم غيره، فإننا مطالبون اليوم – لا سيما الدعاة – بأن نتمسك بالقرآن والسنة، كما أمرنا رسول الله ﷺ بقوله: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي...**»(٣).

ولقد حفظت لنا كتب السيرة والسنة موقفاً لأبي بكر رضي الله عنه يدل على دور القرآن في الدعوة إلى الله تعالى، وأنه إذا خرج من قلب منفعل به مؤمن بما جاء فيه فإنه يؤثر في سامعه، ويكون سبيلاً لهدايته إلى الله تعالى، وأن هذا الأثر العظيم للقرآن الكريم كان – ولا يزال – يغيظ أعداء الله، وهذا ما حدث مع أبي بكر رضي الله عنه عندما ابتنى مسجداً بفناء داره فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين(٤).

وإذا كان من تعليق هنا، فهو التأكيد مرة أخرى على أن القرآن الكريم أمضى سلاح في يد الداعية، لا يمكنه النجاح بدونه، فكم من دعاة كان كتاب الله سبباً في قبولهم عند الناس وثقتهم بهم، ويوم أن يفقد الداعية هذا السلاح: عملاً وحفظاً

---

(١) السيرة النبوية للصلابي: ج ١/ ٩٤ بتصرف.

(٢) موسوعة نضرة النعيم، ط٣، دار الوسيلة، جدة ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م، ج١ / ٢٠٩ ، بتصرف يسير.

(٣) منزلة السنة في الإسلام – للألباني ج١/١٨ وقال: رواه مالك بلاغاً والحاكم موصولاً بإسناد حسن. وانظر: المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم: ١/ ١٦٠ (٣١٨).

(٤) صحيح البخاري – كتاب الصلاة – ب: المسجد يكون في الطريق – ص: ١٢٧ – رقم (٤٥٩).

وتلاوة وفقهاً؛ يكون قد فقد خيراً كثيراً.

المطلب الثاني: تصحيح وترسيخ الجانب العقدي

لا يشك أحد في أن التضحيات العظيمة لا تنطلق إلا من عقيدة ثابتة، ويقين راسخ، وإيمان قوي لا تزلزله المحن، فإذا أرادت الأمة أن تُوجد هذه الروح، وأن تبث هذا اليقين، فلابد أن يهتم الدعاة بترسيخ الإيمان في قلوبهم ليظهر أثر ذلك على من يدعونهم، ولا شك أن الإيمان إذا وقر في القلب تحركت الجوارح بالعمل في لذة وشوق وسهولة ويسر وإقبال على الله تعالى، ورأس الإيمان توحيد الله تعالى، فهو أول ما دعا إليه رسول الله ﷺ ومكنه من قلوب أصحابه.

«لقد قام النبي ﷺ – بمنهجه القرآني– بتغيير في العقائد والأفكار والتصور، وعالم المشاعر والأخلاق في نفوس أصحابه، فتغير ما حوله في دنيا الناس، فتغيرت المدينة، ثم مكة، ثم الجزيرة، ثم بلاد فارس والروم، في حركة عالمية تسبّح وتذكر خالقها بالغدو والآصال.كان اهتمام المنهج القرآني في العهد المكي بجانب العقيدة، فكان يعرضها بشتى الأساليب، فغمرت قلوبهم معاني الإيمان، وحدث لهم تحول عظيم. قال تعالى موضحا ذلك الارتقاء العظيم: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (١)... (٢).

إذن هو الاهتمام ببناء العقيدة الذي يسبق كل اهتمام، والذي استغرق جل حياة النبي ﷺ، والذي غير به الدنيا بعد ذلك، حين وقر الإيمان في قلوب أصحابه، فانطلقوا في ربوع الأرض، كالماء ينزل من السماء فيحي الأرض بعد موتها.

إن البدء بتقوية الإيمان وترسيخ العقيدة في القلوب لا بد أن يكون أولوية للداعية، قبل أي شيء آخر، فلا يبدأ مع من لا يصلي، بالحديث عن أحكام الصلاة وأركانها وسننها، لا بد أن يُرغبه في الصلاة أولاً ليصلي، ثم يعلمه الأحكام بعد ذلك، وإن وجه دعوته لرجل جاهل عاص، فمن الكياسة أن يبدأ معه بتقوية

(١) سورة الأنعام: ١٢٢.

(٢) السيرة النبوية للصلابي: ج١/ ١٠٣.

الإيمان والمراقبة لله تعالى، ويرغبه في الجنة ويرهبه من النار، فإذا نجح في ذلك؛ فسيجده يسارع لمعرفة الحلال ليأتيه، وتبين الحرام ليجتنبه؛ «ذلك أن المسلم إذا خضعت حياته للعقيدة؛ قدمها على كل حاجات النفس؛ فيكون الفقير معدماً ويتعفف، ويكون الغني موسراً ويتصدق، ويكون الشَّرِه طامعاً ويمسك، ويكون القوي قادراً ويحجم»(١).

فالإيمان يقود إلى العمل الصالح وإلى استقامة السلوك. يقول أ/ فتحي يكن: «إن الأخلاق والعبادات والمعاملات الإسلامية هي مظهر من مظاهر الوجود العقدي وأثر من آثاره.. وبقدر ما يكون هذا متيناً راسخاً بقدر ما يتحقق التوافق والتلازم بين المظهر والجوهر، أي بين المعتقدات والتصرفات»(٢).

فعن القاسم بن عوف قال: سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: «لقد عشنا برهة من دهرنا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على رسول الله محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها، كما تعلمون أنتم اليوم القرآن، ثم لقد رأيت اليوم رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه، فينثره نثر الدقل(٣)».. (٤).

المطلب الثالث: حاجة الدعاة إلى الصبر

إن من يحمل عبء الدعوة إلى الله تعالى لابد أن يتحلى بالصبر، ولابد أن يتربى عليه، فإن الأمانة ثقيلة والابتلاء شديد، قال تعالى: ﴿**الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ**

(١) محمد رسول الله خلاصة سيرته ومقالات نادرة فيها – محمد بن إبراهيم الحمد، ط١، دار ابن خزيمة –الرياض، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م ، من مقال لمصطفى صادق الرافعي: ص: ٨٦ بتصرف يسير.

(٢) كيف ندعو إلى الإسلام، فتحي يكن، ط١١، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ص / ٢٤.

(٣) الدقل: أردأ التمر – أنظر: مختار الصحاح: مادة (د ق ل) ص / ١٨٣.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك: ج٨٣/١ (١٠١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علة ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي.

﴿**الْكَاذِبِينَ**﴾ (١). إنها سلسلة الاقتداء بحملة الرسالة على مر التاريخ، بدأها رسول الله ﷺ حين أمره ربه بذلك فقال: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ**﴾ (٢). وقال تعالى حاكياً قول لقمان لابنه: ﴿.. **وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىَ مَا أَصَابَكَ إِنّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأمُورِ**﴾ (٣). فكأن من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لا بد أن يوطن نفسه على الصبر وتحمل الأذى؛ لأنه أمر متوقع، وهو سنة الله في خلقه؛ فهذا رسول الله ﷺ لما أمره الله تعالى بالدعوة إليه، أرشده إلى وجوب الصبر فيها، فقال سبحانه: ﴿**وَاصْبِرْ عَلَىَ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً**﴾(٤).

فامتثل رسول الله ﷺ أمر ربه، وأوصى بها أصحابه وأمته من بعده، فعَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلا تَدْعُو لَنَا. فَقَالَ: «**قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ؛ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»(٥).

إن الصبر أداة عظيمة للنصر والتمكين، ربى عليها رسول الله محمد ﷺ أصحابه، فهو يعلم أنه سيُحَارب وسيخرجه قومه، حتى قبل أن يعلمهم بخبره، حين قال له ورقة بن نوفل: «يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا(٦)، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ

---

(١) سورة العنكبوت: ١ – ٣.
(٢) سورة الأحقاف: ٣٥.
(٣) سورة لقمان: ١٧.
(٤) سورة المزمل: ١٠.
(٥) البخاري – كتاب المناقب – باب: علامات النبوة – ص: ٨٨٨ (٣٦١٢).
(٦) جَذَعا: الشاب القوي.

إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا..»[١].

يقول الشنقيطي: «فلا ينبغي أن يسند الأمر بالمعروف إسناداً مطلقاً، إلا لمن جمع بين العلم والحكمة والصبر على أذى الناس، لأن الأمر بالمعروف وظيفة الرسل، وأتباعهم وهو مستلزم للأذى من الناس، لأنهم مجبولون بالطبع على معاداة من يتعرض لهم في أهوائهم الفاسدة، وأغراضهم الباطلة... وروي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: «**ما ترك الحق لعمر صديقاً**»[٢].

إن بعض الدعاة اليوم قد يتخلى عن الدعوة في مكان ما؛ لأنه تعرض لإيذاء مادي أو معنوي من آحاد الناس ! غير مبال لجهده الذي بذل، ولا لبذرته التي غرسها وبدأت تؤتي أكلها، ومنهم من تأخذه العزة بالإثم في لحظة غضب فيقترف ما كان ينهى الناس عنه، إن الجيل الذي رباه سيدنا محمد ﷺ تعرض لكثير من المحن وأوذي في الله كثيراً، فما صدهم ذلك عن دعوتهم ولا رسالتهم، فالمنح لا تأتي إلا في ظل المحن، والنصر لابد له من ضريبة تدفع.

وإذا أردنا أن نأخذ مثالاً على ذلك من حياة من رباهم رسول الله محمد ﷺ، فإننا سنجد أمامنا موقفاً عظيماً لأبى بكر ﷺ في الخبر الذي روته السيدة عائشة (رضي الله عنها) حيث قالت: لما اجتمع النبي ﷺ وأصحابه وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور فقال: يا أبا بكر إنا قليل، فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ، وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين؛ فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما

(١) صحيح البخاري – ك / التعبير – باب: أول ما بدئ رسول الله ﷺ: ١/ ٥ (٦٤٩٧).
(٢) أضواء البيان للشنقيطي، عالم الكتب – بيروت – بدون، ج ٢ / ص ١٧٤ باختصار.

لوجهه، ونزل على أنف أبى بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه.. (١).

ولو توقف المسلمون بعد كل محنة عن الدعوة والإصلاح؛ لضاع الدين ولقويت شوكة الكفر وأهله، ولحرم الناس خيراً كثيراً، ولسئلت الأمة كلها بين يدي الله عن تقصيرها في أداء رسالتها والقيام بدورها.

يقول الشيخ / محمد الغزالي: «إن على المؤمنين برسالة سيدنا محمد ﷺ أن يثبتوا، وليس ثباتهم لمصلحتهم الخاصة فقط ولا حق الإيمان عليهم وكفى، إنما يرتكز على دعائم غائرة في الثرى، وهي التي تحمل ثقله وترفع عمده. وقد كان أصحاب رسول الله محمد ﷺ الأول – بصلابة يقينهم وروعة استمساكهم – دعائم رسالته وأصول امتدادها من بعد، في المشارق والمغارب»(٢).

المطلب الرابع: دفع اليأس والتمسك بالأمل والرجاء

اليأس مرض قاتل، لا يدب في قلب أحد إلا أقعده عن العمل بالكلية أو أضعفه إلى أبعد حد، واليأس في مجال الدعوة أخطر وعواقبه أفدح؛ لأنه يؤثر على رسالة الداعية، ويفقده الأمل في قبول الناس للهدى والرشاد، ومن ثم يجعله يفتر في دعوته أو يحبط أو ييأس من استجابة الناس لها، ولو يأس رسول الله ﷺ ما وصل إلينا هذا الدين، وقد تعرض ﷺ لكثير من المحن، فكان الأمل في رحمة الله تعالى، وكان الرجاء في أن يهدي الله تعالى قومه إلى الإسلام، هو ما يزيل همه ويهدئ روعه.

وأنظر إلى سؤال السيدة عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ عن أشد المحن التي تعرض لها، وكيف كان جوابه ﷺ عليها، فقد قالت له: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ؛ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ،

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، دار الفكر العربى – مصر – بدون، جـ ٣ / ٣٠.

(٢) فقه السيرة للغزالي: ص: ٨٠.

فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(١).

فرجاء أن يخرج الله من أصلاب هؤلاء من يعبد الله وحده لا شريك له كان مبعث الأمل والرجاء، ودافع الصبر والتحمل، وقد تكون أسباب اليأس عند بعض الدعاة اليوم راجعة إلى ما يراه من مظاهر للفساد والإفساد، ومن غربة للإسلام في الأرض، ومن مظاهر التجاهل والإهمال لبعض مبادئه وأحكامه، ومن محن يتعرض لها مناصروه وأعوانه، ولو درس هؤلاء سيرة النبي ﷺ دراسة متأنية واعية، ووقفوا على أحوال الجزيرة العربية إبان بعثته ﷺ، والحالة التي وصلت إليها مكة وما جاورها في ذلك الوقت، لو فعلوا ذلك لكان لهم شأن آخر !!.

ثم إن البشارات بانتصار الإسلام وسيادته للأرض كثيرة؛ منها: قول النبي ﷺ: «... **وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ؛ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»(٢). وما ورد عند الطبراني عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الدِّينُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ، حَتَّى يَدْخُلَ بَيْتَ الْمَدَرِ، وَبَيْتَ الْوَبَرِ، حَتَّى يُعِزَّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلامَ، وَيُذِلَّ الْكُفَّارَ**» قَالَ تَمِيمٌ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي قَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ، وَالشَّرَفُ، وَالْعِزُّ، وَأَصَابَ مَنْ ثَبَتَ مِنْهُمْ عَلَى الْكُفْرِ الذُّلُّ، وَالصَّغَارُ، وَالْجِزْيَةُ(٣).

فليعلم الداعية أنه بصبره وتحمله في سبيل دعوته؛ يسهم في تمكين دين الله في الأرض، ولن يضيع عمله في الدنيا ولا الآخرة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا**

(١) صحيح البخاري – كتاب: بدء الخلق – باب: إذا قال أحدكم آمين – ص: ٧٩٨ (٣٢٣١).
(٢) البخاري – كتاب المناقب – باب: علامات النبوة – ص: ٨٨٨ (٣٦١٢).
(٣) المعجم الكبير للطبراني ج٢/ ٥٥.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (١).

المطلب الخامس: محاربة الاستعجال

اليأس والقنوط قد يقابله الاستعجال وعدم التروي، وكلاهما مذموم، وإن من الآفات التي تصيب الدعوة أيضاً؛ الاستعجال في غير موضعه، والانقياد للحماسة التي قد لا تكون مأمونة العواقب، والتي غالباً ما ينجرف إليها بعض الشباب، أو بعض من ينظرون إلى ظواهر الأمور، أو نتائجها القريبة، دون النظر إلى عواقبها، فلابد من الصبر والتأني، والاستماع لصوت العقل والخبرة والعلم، ممن أنيط بهم أمر الدعوة ومستقبلها من الدعاة العارفين العاملين.

إن على الداعية أن يضع البذرة وأن يصبر عليها، وألا يستعجل النتائج، مهما بدت له في ظاهرها غير مثمرة، طالما أنه توكل على الله، وسلك المنهج السليم، وسار على خطى السابقين، من سلف الأمة الصالح، وفي أحداث السيرة النبوية يعرض لنا مرحلة فاصلة في تاريخ الدعوة؛ ألا وهي (صلح الحديبية) هذا الصلح الذي لم يوافق بعض الصحابة الكرام عليه، وبدا لهم قبولاً بالذل والهوان، وإضعافاً للدعوة وأهلها.

ومنهم من اعترض بالفعل على بنود هذا الاتفاق؛ كالفاروق عمر بن الخطاب ﷺ، حيث قال: أتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقا؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً، قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام، قال قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به... قال: الزهري قال عمر: «فعملت لذلك أعمالاً» (٢).

---

(١) سورة الكهف: ٣٠.

(٢) صحيح البخاري – كتاب الشروط – باب: الشروط في الجهاد – ص: ٦٦٩- ٦٧٣ ، رقم: (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

من المؤكد أن عمر ﷺ لم يكن يقصد اعتراضاً على رسول الله ﷺ أو عصيان أمره «وإنما طلباً لكشف ما خفي عليه، وحثاً على إذلال الكفار، لما عرف من قوته في نصرة الدين. وقوله كما جاء في الرواية السابقة «فعملت لذلك أعمالاً» فسرها بعضهم بأنها: من الذهاب والمجيء والسؤال والجواب، ولم يكن ذلك شكاً من عمر، وقال بعضهم: بل المراد به: الأعمال الصالحة ليكفر عنه ما مضى من التوقف في الامتثال ابتداء، وقد ورد عن عمر التصريح بمراده بقوله: «أعمالاً»: ففي رواية ابن إسحاق «وكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق، من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به»[1].

والشاهد من هذا الموقف أن الخير كله فيما فعله رسول الله ﷺ؛ فقد أدت الهدنة إلى التقاط الأنفاس، وإلى تفرغ المسلمين لنشر الدعوة خارج إطار الجزيرة العربية؛ حيث بدأ إرسال الرسل إلى الملوك والأمراء، وأصبح للمسلمين كيان يتم التفاوض معه، وتدخل معه القبائل في أحلاف. وكان الصلح مقدمة للفتح المبين الذي أعز الله به الإسلام والمسلمين. فلا بد أن يترك لأهل العلم والحكمة أن يأخذوا وقتهم لترتيب الأمور، ووضع الخطط التي تتناسب مع الظروف التي تمر بها الدعوة.

(١) فتح الباري لابن حجر – ج ٨ / ص ٢٨٣ بتصرف يسير.

المطلب السادس: حاجة الداعية إلى العلم والفقه

لطلب العلم في الإسلام أهمية عظيمة ومكانة كبيرة، وهو للدعاة إلى الله أعظم وأوجب، قال تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾(١). وقد بين الحق سبحانه وتعالى أن العلم والبصيرة أهم ما يميز الدعاة إلى الله، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ**﴾(٢).

قال البغوي: «والبصيرة: هي المعرفة التي تُميّز بها بين الحق والباطل»(٣).
وقال القرطبي: «عَلَى بَصِيرَةٍ» أي: على يقين وحق»(٤).

فلابد للداعية أن يكون على علم وفقه بما يدعو الناس إليه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا يكون عمله صالحا إن لم يكن بعلم وفقه. وكما قال عمر بن عبد العزيز: «من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح»... فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما، ولا بد من العلم بحال المأمور والمنهي»(٥).

كما أشار إلى ذلك ابن القيم بقوله: «أعلى درجات العلم: البصيرة؛ التي تكون نسبة العلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر، وهذه هي الخِصّيصة التي اختص بها الصحابة عن سائر الأمة، وهي أعلى درجات العلماء»(٦). ويقول أيضاً: «ولما كانت الدعوة إلى الله من أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي

---

(١) سورة المجادلة: ١١.

(٢) سورة يوسف: ١٠٨.

(٣) مختصر تفسير البغوى – عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، ط١، دار السلام للنشر والتوزيع ، ١٤١٦ هـ ، ٤/ ٢٠٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي، دار عالم الكتب – الرياض – المملكة العربية السعودية – بدون، ٩ / ١٧٩.

(٥) مجموع الفتاوى ج٦/ ٣٣٩.

(٦) مدارج السالكين لابن القيم، ط٢، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م ، ٢ / ٤٨١، ٤٨٢.

لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه»[١].

ولا شك أن العلم والبصيرة للداعية يرفع مكانته عن الله وعند الناس، فما يستجيب المدعوون لمن يدعوهم إلا لعلمه وفقهه ومعرفته بربه سبحانه وتعالى، فيوم أن يخلو من كل ذلك فلن يسمع له أحد ولن يستجيب لدعوته أحد، فالناس قد تقطع المسافات الطوال لسماع درس أو خطبة أو موعظة ممن عرف بالعلم والفضل؛ ممن يجدون عنده الدواء لعللهم والجواب لسؤالهم والفهم لواقع حياتهم.

وعلى ذلك «فلا يمكن قيام دعوة صحيحة من دون علم، فبدونه تتحول الدعوة إلى دعوة فاسدة ضالة قائمة على الجهل والهوى، وتقود إلى الفتنة والفساد والضلال»[٢]. إنها أمانة عظيمة، فمن وضعه الله تعالى في طريق الدعوة وحمله هذه الأمانة، ينبغي أن يكون على قدر هذه المسؤولية، وليعلم أنه سيقف بين يدي ربه سبحانه وتعالى ليسأله عما فعل في هذه الأمانة، هل أداها أم ضيعها؟ وإن من تمام أدائها، أن يحاول– ما استطاع إلى ذلك سبيلاً– أن يكون على علم وبصيرة بما يدعو الناس إليه، لئلا يكون من الضالين المضلين.فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[٣].

إن العلم والفقه في دين الله، أو الدعوة إلى الله على بصيرة، يستلزم «ضرورة الفهم والإدراك لحقائق كثيرة في الشرع، قد غابت عن أذهان كثير من الدعاة، حتى ظن بعضهم أن مجرد الحفظ والعاطفة، وقوة الإلقاء، وبلاغة التعبير، كافية لترشيح

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم، الرياض: رئاسة البحوث العلمية والإفتاء – بدون،١/ ١٥٤.

(٢) ركائز منهج السلف في الدعوة إلى الله. د عبد الله بن محمد المجلي، مجلة البحوث الإسلامية – الصادرة عن الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء – المملكة العربية السعودية – العدد ٨٨ – ١٤٣٠ هـ ، ص/ ١٥٣ بتصرف يسير.

(٣) صحيح البخاري – ك: العلم – ب: كيف يقبض العلم – ص: ٣٨ (١٠٠).

صاحبها إلى منصة الإفتاء، واعتلائه منبر الدعوة، يَصول في الأحكام، دون تأصيل ولا فقه، ويحكم في الناس، دون رَويَّة ولا ورع. إن الحفظ والاطلاع والعاطفة، ما لم تتوج بالفهم العميق، وتحاط بالتأصيل المتين، انعكست آثاراً سلبية على الدعوة والمدعوين والمجتمع، فقد تُنفِّر المدعوين، وتعرقل الدعوة إن لم توقفها»[١]. إن مثل هذه الآثار السلبية التي تعرقل مسيرة الدعوة، والتي قد تصد الناس عن دين الله، تحتاج من الدعاة إلى الاهتمام والتطبيق والفهم؛ لفقه الأولويات والمقاصد، وفقه المفاسد والمصالح، وفقه الشعب والمقامات، وغير ذلك على ما سيتضح بيانه فيما يلي:

١- **فقه الأولويات**: حيث يحتاج هذا الفقه من الداعية أن يكون على دراية واسعة بالواقع الذي يعيش فيه، وفي نفس الوقت على دراية واسعة وفهم لأصول الدعوة إلى الله تعالى؛ وذلك ليجيد التعامل مع ما يعرض له من مسائل، وما يطلب منه من مواقف، ويستطيع من خلال ذلك أن يقدم ما هو مهم على غيره، وحتى لا تشغله قضية ثانوية عن قضية آنية تحتاج أن تُقدم ويُهتم بها، فلابد أن «يقدم الأولى فالأولى من الأحكام والقيم والأعمال، بناء على معايير شرعية صحيحة، يهدي إليها نور الوحي، ونور العقل **(نُورٌ عَلَى نُورٍ)**[٢] فلا يقدم غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا المرجوح على الراجح، ولا المفضول على الفاضل، أو الأفضل»[٣].

وفي توجيه النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن، ما يدل على هذا الفقه، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مُعَاذًا قَالَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ**

(١) منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر – عدنان آل عرعور ص: ١٥.

(٢) سورة النور: ٣٥.

(٣) في فقه الأولويات – د/ يوسف القرضاوي، ط٢، مكتبة وهبة ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م، ص ٩/.

أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ،وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»(١).

إن مما يهدي إليه هذا الحديث في مجال فقه الأولويات بالنسبة للدعاة، أن يضع الداعية جدولاً لأولوياته؛ ليبدأ بأكثرها إلحاحاً على غيره؛ فلا يهدر وقته في علاج داء ضعيف في البدن ويترك ما هو أشد منه فتكاً؛ لأنه – والحال كذلك – سيكون قد حكم على هذا المريض بالإعدام، فقد أمر النبي ﷺ أن يبدأ معاذ بالدعوة إلى توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به، لأن هذا هو الأساس؛ فإن اعتقد المدعو أن الذي يأمره وينهاه هو الله تعالى سهل بعد ذلك كل أمر، وعلى ذلك فلا يبدأ بالدعوة إلى أداء العبادات وتفصيلاتها وأحكامها، قبل الدعوة إلى توحيد الله وعبادته والإخلاص له ومراقبته.

٢ – **<u>فقه المقاصد</u>**: إن فقه المقاصد بالنسبة للداعية يعني أن يضع الغايات والمقاصد الكبرى لدعوته نصب عينيه دائماً؛ فلا يجعل الصغير من الأمر أو النهي يعيق كبيراً منهما، حيث إن مقصد الدعوة هو «هداية العباد، ورحمتهم، لا محاسبتهم وكشف عوراتهم. ومن مقاصد الشريعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: إتيان المعروف، والانتهاء عن المنكر، لا مجرد الأمر به، والنهي عنه، فلو تحقق ذلك بأي أسلوب مشروع،كان ذلك هو المقصود»(٢).

ولا أكون مبالغاً إذا قلت إن كثيراً من المواقف والوصايا لرسول الله ﷺ تسير في هذا الاتجاه، فكثيراً ما كانت تحمل الحمية والغيرة على دين الله كثيراً من الصحابة على الهم بإنزال العقوبة على المخالف، فينهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك رجاء أن يهدي الله الناس على يديه؛ فينقذهم الله به من النار؛ فقد جاء أعرابي

(١) البخاري– ك: الزكاة – ب: أخذ الصدقة من الأغنياء ص: ٣٦٤ رقم:(١٤٩٦).
(٢) منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر – عدنان عرعور ص: ١٧.

يوما يطلب منه شيئاً فأعطاه رسول الله ﷺ ثم قال «أحسنت إليك» فقال الأعرابي: لا، ولا أجملت. قال: فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا، ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئا، ثم قال «أحسنت إليك؟» قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً.... ثم توجه إليهم ﷺ قائلاً: «**إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً، فناداهم صاحب الناقة، خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها وأعلم، فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها، فأخذ لها من قشام الأرض، فردها هوناً، حتى جاءت واستجابت وشد عليها رحلها واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار**»(١).

فالمقصد الأسمى في إنقاذ هذا الرجل من النار؛ جعل رسول الله ﷺ يصبر على ما بدر منه، ولا يبادر إلى معاقبته، بل نهى أصحابه عن ذلك، ثم علَّم الرجل ووجهه بألطف عبارة وأوضح بيان، وأجمل مثال. ومن قبيل فقه المقاصد أيضاً؛ وصاياه ﷺ في الجهاد، فمقصد الجهاد في الإسلام – الذي هو مظنة القتل والتدمير وإهلاك الحرث والنسل – هداية العباد، ودفع الصاد عن سبيل الله، وليس المقصد، قتل العباد.. وانتهاك الحرمات، وترويع الآمنين، قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوَاْ إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ (٢).

كما يفسر هذا جلياً؛ ما جرى مع ابن تيمية فيما ذكره تلميذه ابن القيم بقوله: «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر

(١) تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي: ج١٣٨/٦ – وقال: أخرجه البزار وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

(٢) سورة البقرة: ١٩٠.

عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم»[١].

فانظر إلى هذا الإمام كيف نظر إلى مقصد تحريم الخمر.. فأصاب – بهذا الفقه – مصالح، ودفع مفاسد. ومع ذلك، نرى كثيراً من الدعاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، لا يعون مقاصد الأحكام، ولا يراعون غاياتها النبيلة، فينقلب عندهم النصح إلى فضح، والستر إلى تشهير، والمواساة إلى تشفٍ، والمعالجة إلى انتقام. فالمهم عنده؛ أن يأمر مجرد أمر، وأن ينهى مجرد نهي، دون النظر إلى المقاصد، أو العواقب، أو إلى ما أمره الله به، من أن يكون أمره ونهيه بالرفق والمعروف، كي تتحقق المقاصد المنشودة، والغايات المطلوبة. «إن من أعظم فقه الداعية أن يتفطن لما يكون بعد فعله من أمر أو نهي أو دعوة»[٢].

٣- **فقه المصالح والمفاسد**: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وتمام الورع أن يعلم الإنسان خير الخيرين وشر الشرين، ويعلم أن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإلا فمن لم يوازن ما في الفعل والترك من المصلحة الشرعية والمفسدة الشرعية فقد يدع واجبات ويفعل محرمات، ويرى ذلك من الورع؛ كمن يدع الجهاد مع الأمراء الظلمة ويرى ذلك ورعاً، ويدع الجمعة والجماعة خلف الأئمة الذين فيهم بدعة أو فجور، ويرى ذلك من الورع، ويمتنع عن قبول شهادة الصادق وأخذ علم العالم لما في صاحبه من بدعة خفية، ويرى ترك قبول سماع هذا الحق الذي يجب سماعه من الورع»[٣].

ومما يمكن أن يستشهد به من سيرة النبي ﷺ وحكمته في ذلك حين امتنع من قتل رأس المنافقين ابن أبي بن سلول، لحكمة كبرى ومصلحة أعظم للإسلام والمسلمين فَحين قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين – لابن القيم، مكتبة الكليات الأزهرية– القاهرة: ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م ، ج ٣ / ٥.

(٢) انظر: منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر – عدنان آل عرعور ص: ١٧.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية: ج٢/٤٠٧.

مِنْهَا الْأَذَلَّ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعْهُ لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»(١).

وقد علق الإمام النووي على ذلك بقوله: فيه ما كان عليه ﷺ من الحلم، وفيه ترك بعض الأمور المختارة، والصبر على بعض المفاسد خوفاً من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم منه، وكان ﷺ يتألف الناس، ويصبر على جفاء الأعراب والمنافقين وغيرهم لتقوى شوكة المسلمين، وتتم دعوة الإسلام، ويتمكن الإيمان من قلوب المؤلفة، ويرغب غيرهم في الإسلام.. قال القاضي: واختلف العلماء هل بقي حكم الإغضاء عنهم، وترك قتالهم، أو نسخ ذلك عند ظهور الإسلام، ونزول قوله تعالى: «جاهد الكفار والمنافقين» وأنها ناسخة لما قبلها: وقيل: قول ثالث أنه إنما كان العفو عنهم ما لم يظهروا نفاقهم، فإذا أظهروه قتلوا(٢). وسواء نسخ الحكم أو بقي، فإن الشاهد أن على الداعية أن يفهم هذا الفقه جيداً؛ فلا يتشبث بأمر يضيع فيه جهده ووقته، ليحصِّل منفعة صغيرة فيضيع أمامها نفع أكبر، أو يترتب عليها فساد أعظم.

٤- **<u>فقه الشعب والمقامات</u>**: هذا النوع من الفقه يفيد الداعية في أن يكون حكمه ورأيه ومن ثم معالجته للأشياء صحيحاً، فلا يطلق حكماً في غير محله، ولا يوجه شخصاً برأي أو فتوى أو مسألة تصلح لغيره لا له؛ لأن المقام مختلف، وكذلك حال المدعو مختلف، فلكل مقام مقال. «فثمة: مقام الولاية.. ومقام القضاء.. ومقام الجهاد.. ومقام الدعوة.. ومقامات أخرى، والمقصود بفقه المقامات: أن لكل شعبة من هذه الشعب، أحكاماً خاصة بها، ومواقف يجب على المسلم الالتزام بها، فموقف ولي الأمر في معالجة القضايا ليس كموقف القاضي، الذي يمثُل أمامه المذنب، وليس كموقف الداعية وهو ينصح المذنبين، وموقف المسلم مع

(١) صحيح البخاري – ك: التفسير – ب: قوله " سواء عليهم أستغفرت لهم ": ج ١٥ / ص ١٢٤١ – رقم (٤٩٠٥).

(٢) شرح النووي على مسلم – ص: ١٥٤٥.

الذمي (المعاهد) غير موقفه مع العدو الصائل، وموقف المسلم مع الكافرين في الجهاد، غير موقفه معهم في الدعوة»[١].

وهكذا تتنوع الأساليب والوسائل بتنوع المقامات والشعب؛ بل وتختلف الأحكام في بعض الأحيان؛ كل ذلك في ظل الغاية الكبرى التي يبتغيها الداعية من وراء دعوته؛ وهو أن يهدي الله تعالى على يديه من ضل طريقه إلى الله. لأنه يعلم أن النجاح في هذه المهمة الجليلة هو الفوز المبين في الدنيا والآخرة؛ فعن سهل بن سعد ﷺ قال: قال ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ، فَقَال: أَيْنَ عَلِيٌّ؟ فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ فَقَالَ: أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا فَقَالَ: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»[٢].

إن الغاية من الجهاد والفتح؛ أن يفتح الله قلوب العباد لتقبل الدعوة والإيمان بالله سبحانه وتعالى، فهذه هي أسمى الغايات. وإذا عُلم فقه المقامات، عُلم فقه كثيرٍ من الآيات، الذي يظن من لا فقه عنده، أنها متعارضة أو منسوخة، وهي ليست كذلك، وإنما اختلف الحكم لأن المقام مختلف؛ فمن هذا الباب: صنف من الآيات تأمر بالصبر والعفو كقوله تعالى: ﴿**وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأمور**﴾[٣]. وقوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفّوَاْ أَيْدِيَكُمْ**﴾[٤]. ومن ذلك:صنف من الآيات

(١) منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر – عدنان آل عرعور ص: ٢٠.

(٢) صحيح البخاري – ك: الجهاد والسير – ب: فضل من أسلم على يديه رجل – ص: ٧٤١ – رقم (٣٠٠٩).

(٣) سورة الشورى: ٤٣.

(٤) سورة النساء: ٧٧.

تأمر بالقتال والرد بالمثل،كقوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُواْ فِى سَبِيلِ اللّهِ الّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ** ﴾ (١). وقوله تعالى: ﴿**الشّهْرُ الْحَرَامُ بِالشّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** ﴾ (٢). فمقام الصبر هنا وكف اليد عن القتال هو مقام الدعوة إلى الله في حال السلم، وهو غير مقام رد العدوان وقتال من يقاتل ويعتدي وهو مقام جهاد.

المطلب السابع: الانتقائية في اختيار المدعوين

اهتمام الداعية بجميع المدعوين دون تفريق أمر في غاية الأهمية؛ ذلك أن رسالة الداعية رسالة عامة، لأنه يحمل دعوة عامة هي دعوة الإسلام، التي لا تفرق بين الناس على أساس اللون أو الجنس أو المكانة، أو غير ذلك من الأمور التي يهتم الناس بها، ويصنَّفون على أساسها، ويوم أن يكون للداعية في محيط دعوته تصنيف للناس على هذه الأسس، فيميل لفلان أو يتقرب إلى آخر، ليس لخدمة الدعوة، بل لينال حظوة عندهم تمكن له نوال عرض من الدنيا !! هنا يكون الخسران المبين.

فالأساس أن يكون الناس جميعاً في محيط اهتمام الداعية، لأنه يرجو لهم الهداية، ويريد أن يفتح الله له قلوبهم وعقولهم فيسمعوا له ويطيعوا، قال ﷺ:«.. **لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»(٣). أيما كان هذا الرجل شريفاً أو وضيعاً، غنياً أو فقيراً، قوياً أو ضعيفاً، بل ربما تكون استجابة الضعفاء والفقراء وغيرهم أسرع من استجابة غيرهم؛ فهؤلاء هم أتباع الأنبياء. ثم إن الداعية سيسأل عن الجميع بين يدي الله تعالى. فإذا كان الغرض من التقرب إلى السادة وذوي المكانة هو خدمة الدعوة، لأنه باستقطابهم سيزداد عدد من يقبلون

(١) سورة البقرة: ١٩٠.

(٢) سورة البقرة: ١٩٤.

(٣) صحيح البخاري – ك: الجهاد والسير – ب: فضل من أسلم على يديه رجل – ص: ٧٤١ – رقم (٣٠٠٩).

على الداعية، وسيتمكن من النجاح في أداء رسالته، وهذا هو المطلوب، فليكن ذلك بقدر وليس على حساب الآخرين، وخير الأمور الوسط وليكن قدوتنا في ذلك رسول الله ﷺ.

وسيرة النبي ﷺ في جميع مراحلها وتحولاتها، تعطي القدوة الطيبة في ذلك، فلم يكن يفرق ﷺ في الدعوة بين هذا وذاك، حتى إنه في المرة التي رجا فيها إسلام أشراف مكة، لما يمثله ذلك من قوة وشوكة للدعوة، فانصرف عن الرد على عبد الله بن أم مكتوم ﷺ عاتبه ربه في ذلك فقال: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى**﴾ (١).

يقول ابن كثير: «ذكر غيرُ واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوما يخاطبُ بعض عظماء قريش، وقد طَمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابنُ أم مكتوم– وكان ممن أسلم قديما – فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شيء ويلح عليه، وودَّ النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل؛ طمعاً ورغبةً في هدايته، وعَبَس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر، فأنزل الله عز وجل هذه الآيات...ثم قال ابن كثير: ومن هاهنا أمر الله عز وجل رسوله ﷺ ألا يخص بالإنذار أحدًا، بل يساوى فيه بين الشريف والضعيف، والفقير والغني، والسادة والعبيد، والرجال والنساء، والصغار والكبار. ثم الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة» (٢).

وفي تعليقه على نوعية المستجيبين لدعوة النبي ﷺ في بدايتها، يقول أ / سعيد حوي: «نجد هاهنا نوعية المستجيبين الأوائل لرسول الله ﷺ أصحاب الأصالة ومكارم الأخلاق والمضطهدين والنساء، وفي ذلك تذكير للدعاة

---

(١) سورة عبس: ١ – ١٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم – لابن كثير، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م، ٨ / ٣١٩ باختصار.

ألا يهملوا المضطهدين والفقراء من عمال وفلاحين، وألا يهملوا النساء، وأن يركزوا على المثقفين»[١].

ولا شك أن هذا التنوع في المدعوين فيه فائدة كبيرة للدعوة والداعية؛ فبدل أن يميل الداعية إلى عائلة أو مجموعة أو فكرة أو قبيلة أو غير ذلك، فيعادي الآخرين، أو لا يحوز على ودهم، فليكن ولاؤه الوحيد لدعوته، ونظره الوحيد على قبول أكبر عدد من الناس لها؛ ليصل تأثيرها وصداها إلى الجميع دون تفريق، ولقد كان هذا هو نهج النبي ﷺ في المرحلة المكية، وفي أخطر المراحل التي مرت بها الدعوة، فيما يعرف بالمرحلة السرية، فقد كان الأساس عنده أن يؤمن الناس وأن يضع بذرة الدعوة في كل قبيلة وكل جماعة، ثم ينتظر أن تؤتي أكلها بعد ذلك بإذن ربها.

وعلى ذلك فقد «كان انتشار الإسلام في المرحلة السرية، في سائر فروع قريش بصورة متوازنة دون أن يكون ثقل كبير لأي قبيلة، وهذه الظاهرة مخالفة لطبيعة الحياة القبلية آنذاك. وهي إذا أفقدت الإسلام الاستفادة الكاملة من التكوين القبلي والعصبية لحماية الدعوة الجديدة ونشرها، فإنها في الوقت نفسه لم تؤلب عليها العشائر الأخرى بحجة أن الدعوة تحقق مصالح العشيرة التي انتمت إليها وتعلي من قدرها على حساب العشائر الأخرى. ولعل هذا الانفتاح المتوازن على الجميع أعان في انتشار الإسلام في العشائر القرشية العديدة دون تحفظات متصلة بالعصبية، فأبو بكر الصديق من (تيم)، وعثمان بن عفان من (بني أمية)، والزبير بن العوام من (بني أسد)، ومصعب بن عمير من (بني عبد الدار)، وعلي بن أبي طالب من (بني هاشم)... وهكذا لقد كان واضحاً أن الإسلام لم يكن خاصاً بقبيلة معينة»[٢].

ومن هنا، فليكن الداعية للجميع؛ حتى يربح أكبر عدد من الناس إلى دعوته، وحتى لا يستغل الشيطان ذلك، في وضع العراقيل أمام الناس؛ بحجة أن الداعية،

---

(١) الأساس في السنة وفقهها (السيرة النبوية) ج ١ / ٢٢٣، ٢٢٤.

(٢) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري ١/١٣٣ باختصار.

يميل لفلان أو فلان، أو يعمل لحساب فلان أو فلان.

المطلب الثامن: أهمية الدعاء بعد بذل الأسباب

من المؤكد أن الدعاة في حاجة دائمة إلى استحضار توفيق الله لهم؛ فهم في مهمة عظيمة وهي تعريف الناس بربهم، والأخذ بأيديهم إلى رحابه، وإن من أهم ما يعينهم على ذلك هو: الدعاء؛ فعَنْه ﷺ فِي قَوْلِهِ تعالى:﴿**وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [(١)] قَالَ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»[(٢)]. فلابد أن يكون للداعية رصيد من هذه العبادة الجليلة، التي ربى عليها رسول الله ﷺ أصحابه في كثير من المواقف؛ أذكر منها موقفاً في غزوة بدر، في رواية صحيحة عن على بن أبي طالب ﷺ يصف فيها كيف بات المسلمون ليلة السابع عشر من رمضان ببدر وأمامهم معسكر المشركين، قال: «لقد رأيتنا ببدر وما منا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح... ثم إنه أصابنا من الليل طش[(٣)]من مطر، فانطلقنا تحت الشجر والحجف[(٤)]نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ﷻ ويقول: «**اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد**»، قال: «فلما أن طلع الفجر نادى الصلاة عباد الله، فجاء الناس من تحت الشجر والحجف، فصلى بنا رسول الله ﷺ وحرض على القتال»[(٥)].

فانظر كيف نام الجميع في هذه الليلة العصيبة، ورسول الله ﷺ قائم يدعو ويصلي حتى الصباح، ثم انظر كيف ألح على ربه في الدعاء في يوم المعركة

---

(١) سورة غافر: ٦٠.

(٢) صحيح سنن الترمذي للألباني – ك: تفسير القرآن ، ب: ومن سورة المؤمن (٤٢)ج ٣ / ٣٢٣، ٣٢٤– قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٣) الطش والطشيش: المطر الضعيف، وهو فوق الرذاذ. القاموس المحيط: ج ٢/ ١٤٠.

(٤) الحَجَفُ: محرَّكةً التُّروسُ من جُلودٍ بلا خَشَبٍ ولا عَقَبٍ، والصُّدُورُ، واحدَتُهما حَجَفَةٌ. القاموس المحيط: ج٢/ ٣٦٥.

(٥) السيرة النبوية الصحيحة للعمري ص/٣٦٠، ٣٦١. والرواية في مسند أحمد: ج ٢/ ٤١٠.

حين رأي المشركين – كما جاء في رواية عمر ﷺ – «فاستقبل القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه؛ **اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**، فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل ﴿**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين** ﴾[(١)]...»[(٢)].

ولقد كان تضرعه ﷺ في غزوة الأحزاب مثالاً آخر على ذلك، فقد دعا على المشركين فقال: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمْ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ**»[(٣)]. فالدعاء أمضى سلاح يستخدمه الدعاة، وعليهم أن يحسنوا استخدامه، قال تعالى: ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ** ﴾[(٤)].

المطلب التاسع: جملة من أهم صفات الداعية

كثيرُ مما سبق الحديث عنه يشتمل على صفات خلقيه كثيرة، ينبغي أن يتصف بها الداعية، اقتداء برسول الله ﷺ، ولكني أشير إليها هنا بصورة مجملة؛ حتى تتم الفائدة منها، فمن هذه الصفات التي تتعلق بالداعية:

١- رحابة الصدر وسماحة النفس.
٢- الرحمة والشفقة.
٣- الحلم والأناة.

---

(١) سورة الأنفال: ٩.
(٢) صحيح مسلم – ك: الجهاد والسير– ب: الإمداد بالملائكة في بدر – ص: ١١٣٣، ١١٣٤ (١٧٦٣).
(٣) البخاري – ك: المغازي – ب: غزوة الخندق زهي الأحزاب ص: ١٠١١ – رقم: (٤١١٥).
(٤) سورة النمل: ٦٢.

٤- العفو والصفح.

٥- الصدق والأمانة.

٦- العزة والشجاعة.

٧- التواضع ولين الجانب.

إلى غير ذلك من الصفات المبثوثة في كثير من الكتب التي رصدت هذه الجوانب وغيرها، ولقد تناولت كثيراً من هذه الصفات عندما عرضت لمواقف السيرة السابقة، وسوف أشير إلى بعضها الآخر بصورة ضمنية فيما يأتي من موضوعات هذا البحث إن شاء الله تعالى. وأحيل من أراد الاستزادة في موضوع صفات الداعية إلى بعض المصادر التي ركزت الحديث عنها(١).

(١) انظر على سبيل المثال: أ- الدعوة الإسلامية.. أصولها – وسائلها – أساليبها.. في القرآن الكريم – د / أحمد غلوش ص: ٤٥٣ وما بعدها. ب- مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي – د/ عبد الكريم بكار، دار القلم: دمشق – الثانية: ٢٠٠١م، سمات الداعية وسلوكه – ص: ١١٧ وما بعدها. ج – فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري _ د/ سعيد بن وهف القحطاني، طبع وزارة الشؤون الإسلامية – المملكة العربية السعودية، وقد اشتمل هذا الكتاب على كثير من صفات الداعية ، عند التعرض لكل حديث من أحاديث البخاري التي تناولتها الدراسة.

الفصل الثاني

دروس دعوية من سيرته ﷺ في مراعاة أحوال المدعوين

المدعوون هم العنصر الأساس في الدعوة؛ فلولا وجودهم ما كانت هناك دعوة، ولولا رجاء قبولهم لها وأمل اهتدائهم إلى الله لما تحرك الدعاة، ولا صابروا في سبيل دعوتهم وتحملوا المشقة والعنت، فعلى الدعاة اليوم – ومن هذا المنطلق – أن يكونوا على معرفة ودراية بأحوال مدعويهم، وأن تكون دعوتهم موجهة في الأساس إلى ما يحتاج الناس إلى معرفته، وإلى ما يداوي الجراحات النازفة أولاً؛ فإن استطاع الداعية أن يضع يده عليها ويحاول معالجتها فسيكون على غيرها أقدر، وإلى قلوب من يدعوهم أقرب؛ فهنا يسمعوا له ويطيعوا.

فليس كل المدعوين سواء في قبول ما يلقى إليهم، فمنهم من يكون الترغيب في حقه أولوية، ومنهم من لا يصلحه إلا الترهيب، منهم من يفهم بالإشارة، ومنهم من لا يصلح معه إلا العبارة، منهم من إذا دعوته اليوم وفي ظروف معينة لا يستجيب، فإذا تغيرت الزمان والمكان يستجيب وهكذا.

«ومن الخطأ الدعوي الواضح: ما يفعله بعض الدعاة، من عدم مراعاة أحوال المدعوين، فترى أحدَهُم يحفظ خطبة جمعة، أو موعظة، أو يحضر محاضرة، ثم يلقيها في كل زمان ومكان، على كل المدعوين، رغم اختلاف مستوياتهم الإيمانية، والعلمية، والعقلية. وربما ألقى محاضرة أو خطبة منقولة من قرون.. دون أن يغير في ألفاظها، أو يبدل في أسلوبها.. سواء كان المدعوون مثقفين علماء.. أو عواماً جهلاءَ، وسواء كان لها مناسبة.. أو لم يكن لها مناسبة... ولقد وجدنا رسول الله ﷺ يخاطب طبقات الناس كلها،كلاً حسب دينه، وحسب علمه، وحسب استجابته، وحسب إمكانه، وحسبك دليلاً على هذا قوله تعالى: ﴿**لاَ يُكَلّفُ اللّـهُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَهَا** ﴾ [(١)]. وسعها العقلي، ووسعها العلمي، ووسعها البدني ووسعها..إلخ»[(١)].

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٦.

ومن هذا المنطلق سوف يكون حديثي في هذا الفصل منطلقاً مما يجب على الدعاة أن يسلكوه في سبيل التعامل مع المدعوين، مع إشارة إلى الواقع الذي يشير إلى عدم التزام كثير من الدعاة هذا المسلك، مع استلهام العظات والعبر من سيرة النبي ﷺ، وسيكون ذلك بمشيئة الله تعالى من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: فهم عقلية المدعوين وطريقة التعامل معهم

من الناس من يرفض الهدى لا لشيء إلا لأنه جاءه من شخص لا يستريح إليه ولا يحبه، وهذا المنطق إن كان مرفوضاً فإنه يوحي للداعية بأهمية أن يعرف طريقه إلى قلب وعقل من يدعوه، وليوقن أن ذلك هو أول طريق النجاح في دعوته؛ فكم من كلمات حولت مسار صاحبها من النقيض إلى النقيض، وليعلم الداعية أن الله تعالى قد أعطاه أدوات في غاية الأهمية، يستطيع لو أحسن استثمارها وتوظيفها أن يصل إلى مراده من أقرب طريق؛ ألا وهي هذا الدين العظيم الذي هو دين الفطرة، وهذا القرآن الكريم الذي هو كلام رب العالمين، وهذا الرصيد الهائل من سيرة النبي ﷺ وسنته، وحياة سلف الأمة الصالح ﷺ.وأستعين على بيان ذلك بمثالين:

المثال الأول: أعرض فيه موقفاً للنبي ﷺ يمكن أن نستفيد منه في هذا الإطار، يرويه عبد الله بن عباس ﷺ وهو: «أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ [اسم مكان]، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ [يرقي من السحر]، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ فَلَقِيَهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ**، قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ

(١) منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر – عدنان عرعور ص: ٨٠ باختصار.

هَؤُلاءِ. فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ وَقَوْلَ السَّحَرَةِ وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلاءِ، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الإِسْلامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَعَلَى قَوْمِكَ، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي..»[١].

لا شك أن النبي ﷺ قد عرف حال هذا الرجل وأخبر به، وعرف كيف يفكر وما الذي يمكن أن يقال له ويؤثر فيه، فهو رجل على معرفة بأقوال الكهنة والسحرة والشعراء، وهو رجل يرقي ويشفي الله على يديه – كما يقول هو – فلابد أن يكون الوصول إلى قلبه من نفس الطريق الذي يفهمه ويعرفه ويبرع فيه، فكانت هذه الكلمات التي ألقيت عليه وعرف معناها، وطلب من النبي ﷺ أن يعيدها عليه، ولم يزد على أن قال: هات يدك أبايعك على الإسلام. وكان استثمار النبي ﷺ لإسلام هذا الرجل في مبايعته على قومه أيضاً وبايع ضماد على ذلك، وانطلق في أداء مهمته العظيمة في دعوة قومه إلى الإسلام، ولا شك أن الداعية عليه أن يحسن العرض ويجتهد في دعوته، والهداية من الله تعالى فهو القائل: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ [٢].

المثال الثاني: حفظت لنا كتب السيرة موقفاً لجعفر بن أبي طالب ﷺ في الحبشة أمام النجاشي، عندما أرسلت قريش وفداً على رأسه: عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص لاستعادة المهاجرين إلى الحبشة، وحاول وفد مكة أن يوقع بين النجاشي وبين المسلمين حتى يسلمهم لهم، وحين طلب النجاشي من جعفر أن يسمعه شيئاً مما معه من القرآن، وكان ذلك في محضر من البطارقة ورجال الدين النصارى، كانت حكمة جعفر في اختيار ما يقرأ على النجاشي، حيث

(١) صحيح مسلم – ك: الجمعة – ب: تخفيف الصلاة والخطبة (٤٦) ص: ٥٦٧ – رقم: (٨٦٨).

(٢) سورة الأنعام: ١٢٥.

اختار أول سورة مريم، وحين سئل عن عيسى عليه السلام وما يقول فيه المسلمون، آثر جعفر رضي الله عنه أن يقول فيه ما قال الله وما جاء به النبي ﷺ وهُوَ أنه: عَبْدُ اللّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ.

وكانت ردة فعل النجاشي كما جاء في الرواية على لسان أم سلمة رضي الله عنها، قَالَتْ: فَبَكَى وَاَللّهِ النّجَاشِيّ حَتّى اخْضَلّتْ لِحْيَتُهُ وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتّى أَخْضَلّوا مَصَاحِفَهُمْ حِين سَمِعُوا مَا تَلا عَلَيْهِمْ. ثُمّ قَالَ (لَهُمْ) النّجَاشِيّ: إنّ هَذَا وَاَلّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ... وكانت ردة فعله حين سمع مقالتهم في عيسى عليه السلام وأمه؛ أن ضَرَبَ النّجَاشِيّ بِيَدِهِ إلَى الْأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمّ قَالَ وَاَللّهِ مَا عَدَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ، قَالَتْ: فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاَللّهِ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ شُيُومٌ بِأَرْضِي – وَالشّيُومُ الْآمِنُونَ – مَنْ سَبّكُمْ غَرِمَ[1].

إن براعة جعفر رضي الله عنه تتمثل في استشهاده بهذه الآيات، التي رجح أنها تؤدي المطلوب عند النجاشي وبطارقته، وقد استطاع بتوفيق الله تعالى أن يستميل قلوبهم ويحرك وجدانهم، فانهمرت على الفور عيونهم، ومن المؤكد أن أمام الدعاة اليوم رصيداً هائلاً من هذه المواقف وأمثالها، إن أمامهم القرآن الكريم وسيرة نبيهم ﷺ وحياة سلفهم الصالح، فمتى يوظفون هذا الرصيد الكبير في خدمة الدعوة؟ وإذا كان قد ألان الحديد في الماضي، فهو قادر على ذلك اليوم، ولكن أين الممسكون به؟ وأين المفعِّلون له؟ وأين الماهرون به !؟.

المبحث الثاني: مراعاة طباع المدعوين الشخصية

لا شك في أن ما جبل عليه الإنسان من طباع تؤثر في اختياره وفي تمييزه بين الأشياء، فلزم على الداعية أن ينوع خطابه بما يتناسب مع هذه الطباع؛ ولا يلزم من ذلك أن يرضى الداعية عن هذه الطباع، أو يحاول إرضاء صاحبها مهما كانت؛ ولكنه سبيل إلى الوصول إلى المدعو ليسمع بعد ذلك ويستجيب؛ وكثير من

(١) انظر: سيرة ابن هشام ج١ / ٣٦٠ – ٣٦٣ بتصرف واختصار.

الدعاة اليوم لا ينجح في دعوته مع شخص لأنه لم يعرف كيف يصل إليه، ولم يفهم شخصية هذا الإنسان وكيفية التعامل معه.

فمن الناس من جبل على الشجاعة، ومنهم من كان في طبعه لين، ومنهم من في طبعه شدة واندفاع، ومنهم من عاش في البادية، ومنهم من عاش في الحضر، منهم من خالط العلماء، ومنهم من خالط الجهلاء، فلا بد من تنوع الخطاب، ولا بد من تفهم الداعية لكل هذه الفوارق؛ حتى ينجح في دعوته بإذن الله تعالى، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، حيث تعامل مع أصحابه ﷺ على هذا الأساس، فحين رأى في أبي ذر ضعفاً نَصَحَهُ أن لا يقترب من الإمارة، وقال: «**يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة...**» (١).

ثم جعل خالداً ﷺ قائداً للجيش، ومعاذاً ﷺ للقضاء والإمارة ونحو ذلك، فكما أن لكل إنسان مهمة تتلاءم مع طباعه وشخصيته، كذلك لكل مدعو طريقة تناسبه وتلائمه. وهكذا ينبغي على الداعية أن يكون فطناً لطبيعة المدعو، مدركاً لما ينفعه في تلك الصفة التي يتصف بها، فيؤخر النصيحة، ويرجئ الأمر، ويعجل البيان، ويمسك عن الجواب، كل ذلك وما يتناسب وطباع المدعو الشخصية، ومزاياه الفطرية، في إطار الحكمة والمشروع(٢).

المبحث الثالث: تركيز الأمر والنهي على المهم حسب الظروف والأحوال

فإذا كانت الظروف التي توجه فيها الدعوة – زماناً ومكاناً – مواتية للتفصيل والتوضيح الذي قد يستغرق وقتاً طويلاً فإن ذلك يكون ممكناً؛ أما إن كان الموقف غير ذلك فعلى الداعية أن يكون خبيراً بمن يدعوهم، وأن يكون خبيراً بما يدعوهم، فقد لا يجمعه بهم لقاء آخر، إما لسفر أو لبعد مكان أو لاهتمامات أخرى قد تأخذ المدعو إلى طريق آخر؛ فعليه أن يركز في هذه الحالة على أهم ما يدعو إليه، وأهم

---

(١) صحيح مسلم – ك: الإمارة – ب: كراهة الإمارة بغير ضرورة – ص: ١١٨٤ – رقم الحديث: (١٨٢٥).

(٢) منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر – عدنان عرعور ص: ٨٣، ٨٤ بتصرف واختصار.

ما يرى أنهم في حاجة إليه، على أن يختار من الأدلة والبراهين ما يرى أنه يؤثر في المدعوين ويجعلهم يفكرون فيما طرح عليهم، فلعله أن يستميل قلوبهم في الحال أو المآل. وأستدل على ذلك بمثالين من سيرته ﷺ:

المثال الأول: مفاوضات النبي ﷺ مع بني شيبان: ففي رواية علي بن أبي طالب ﷺ حين ذكر لقاء النبي ﷺ مع بني شيبان: حين تقدم مفروق [رجل منهم] قد غلبهم لسانًا وجمالاً... وبعد حوار دار بينه وبين أبي بكر ﷺ توجه مفروق بالسؤال لرسول الله ﷺ فقال: إلام تدعونا يا أخا قريش؟ فقال رسول الله ﷺ: «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني عبد الله ورسوله، وإلى أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشًا قد تظاهرت على الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد ؛ فقال مفروق: وإلام تدعو أيضًا يا أخا قريش؟ فو الله ما سمعت كلامًا أحسن من هذا، فتلا رسول الله ﷺ: **﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** [(١)]...»[(٢)].

فالنبي ﷺ بدأ مع بني شيبان بأسس هذه الدعوة التي تدخلهم في هذا الدين وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، ثم ما هو الأهم في هذه المرحلة، وهو: أن يجد من يمنعه ويحميه حتى يؤدي رسالة ربه، ثم بيان ما دفعه إلى ذلك وهو ظلم قريش واستغنائها بالباطل عن الحق الذي جاء به، فلما طلب الرجل أن يعرف أكثر عن هذا الدين، قرأ عليه ﷺ آية جليلة تدل على جانب مما جاء به هذا الدين من الأوامر والنواهي التي تدعو إلى الفضيلة وإلى مكارم الأخلاق، وهذه ولا شك مرحلة وموقف لا يناسبه السرد

---

(١) سورة الأنعام: ١٥١.

(٢) انظر: السيرة النبوية للصلابي ج١/ ٢٣١، ٢٣٢ باختصار. نقلاً عن: البداية والنهاية لابن كثير ج٣ / ١٤٣-١٤٥.

الطويل، ولا الموضوعات المتشعبة، إنه لقاء عابر وفرصة مواتية، ينبغي على الداعية أن يستثمرها، وأن يترك عند المدعو انطباعاً وأثراً طيباً عن الدعوة وعن صاحبها؛ يدفعه إلى التفكير الجدي فيها، ومن ثم قبولها.

المثال الثاني: ما كان في بيعة العقبة الأولى: كما جاء عند ابن إسحاق عن عبادة بن الصامت، قال كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفترض الحرب، على **أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف.** فإن وفيتم فلكم الجنة. وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله ﷻ إن شاء عذب وإن شاء غفر(١).

إنه التركيز – كما سبق – على المطلوب في هذه المرحلة حسب ظروف والأحوال، فعلى الداعية أن يحسن التعامل مع المدعوين ومع أنصار الدعوة على هذا الأساس، وفي إطار ما شرع الله تعالى، وفي إطار معرفة ما نسخ من الأحكام وما لم ينسخ منها، ولا شك أن فقه التعامل مع المدعوين، ومعرفة أحوالهم حسب ظروفهم؛ بغرض أن يكسب أرضاً للدعوة؛ كل ذلك قائم إلى قيام الساعة.

المبحث الرابع: توجيه الأمر والنهي مع مراعاة أحوال المدعوين العلمية

أقصد بالحالة العلمية ما يكون عليه المتلقي؛ من معرفة أو جهل، من فقه وفهم لأمور معينة قد يستوعبها بعضهم دون البعض؛ فالدرس الذي يلقى في الجامعة أو المدرسة لطلاب علم غير الذي يلقى على عوام الناس، الذين – غالباً – يكون مستواهم العلمي دون ذلك، ومن باب أولى يتنوع أسلوب المؤاخذة على التفريط من شخص لآخر حسب الحالة السابقة؛ فلا يؤاخذ العارف الفاهم بما يؤاخذ به الجاهل الذي لا يعرف، أو يعرف معرفة ناقصة، وأستشهد على ذلك من حياة النبي ﷺ بمثالين:

المثال الأول: حال الأعرابي الذي بال في المسجد بحضرة النبي ﷺ وصحابته

---

(١) سيرة ابن هشام – ج٢/ ٨١. وانظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري ص/ ١٩٧.

الكرام، فماذا كان موقف الجميع من هذا الرجل؟ لنتابع الرواية عن أنس بن مالك ﷺ قال:بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ مه مه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزرموه دعوه**» فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن، أو كما قال رسول الله ﷺ، قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه»(١). وفي رواية الترمذي: أن الرجل «قال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: لقد تحجرت واسعاً...»(٢).

قال الإمام النووي: «وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ولا إيذاء إذا لم يأت بالمخالفة استخفافا أو عنادا. وفيه: دفع أعظم الضررين باحتمال أخفهما؛ لقوله ﷺ: (دعوه) قال العلماء: كان قوله ﷺ:(دعوه) لمصلحتين **إحداهما** أنه لو قطع عليه بوله تضرر، وأصل التنجيس قد حصل فكان احتمال زيادته أولى من إيقاع الضرر به. **والثانية:** أن التنجيس قد حصل في جزء يسير من المسجد فلو أقاموه في أثناء بوله لتنجست ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة من المسجد، والله أعلم»(٣).

المثال الثاني: عن معاوية بن الحكم السلمي قال: «بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت

(١) صحيح مسلم – ك: الطهارة – ب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات – ص: ٢٨٦ – رقم: (٢٨٤).

(٢) صحيح سنن الترمذي: ١/ ١٠٢ – رقم الحديث:(١٤٧) وقال أبو عيسى: وهذا حديث حسن صحيح ، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم.

(٣) شرح النووي على مسلم – ص: ٢٨٦ (٢٨٤).

معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فو الله ما كهرني[1]ولا ضربني ولا شتمني، قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن...**» [2].

لا شك أن النبي ﷺ يعلمنا الرفق بالناس، ومراعاة أحوالهم، وأن هذه الطريقة في الدعوة والتوجيه لا تأتي إلا بخير؛ فقد رأينا في المثال الأول كيف أثنى الرجل على رسول الله ﷺ بكلمات فيها إظهار محبة ومودة على قدر فهمه وعلمه، حيث قال: «اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً» وهي كلمات تدل على أنه لم يجد غير النبي ﷺ يعامله هذه المعاملة التي علمته من جهل دون تعنيف، وكذلك الرجل الذي تكلم في الصلاة قال: «فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه» وقد صدق الرجل؛ فهو ﷺ المعلم والمربي، الذي علمه ربه وأدبه، فعلى الدعاة أن يسلكوا نفس السبيل إن أرادوا تحصيل هذه النتائج.

(١) وكَهَرَه يَكْهَرُه كَهْراً: استقبله بوجه عابسٍ وانْتَهره تَهاوناً به والكَهْرُ الانْتِهارُ.انظر: لسان العرب لابن منظور: ١٥٤/٥.

(٢) صحيح مسلم – ك: المساجد – ب: تحريم الكلام في الصلاة – ص: ٤٠٩ – رقم الحديث:(٥٣٧).

المبحث الخامس: مراعاة أحوال المدعوين الإيمانية

من الصحيح في قول أهل العلم أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالعلم والعمل والذكر والفكر[١]؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولا شك أن أحوال الناس في هذه الحالات تتغير، فلا يخاطب مؤمن عاص بما يخاطب به الطائع، ولا يقابل هذا بما يقابل به ذاك، فإن وجهت خطاب الطائع للعاصي فلن يقبله، وإن فعلت العكس فسيكون ذلك تبديداً للوقت وضياعاً للجهد في غير موضعه.

وإذا وضع هذا المعني في ميزان ما جاء عن النبي ﷺ فإننا سنجد ذلك واضحاً في تنوع خطابه ﷺ بما يناسب حال المدعو الإيمانية؛ فحين لحق به سراقة بن مالك ﷺ في رحلة الهجرة؛ لينال جائزة قريش... فلما أدرك سراقةُ النبي طلب منه ﷺ أن يعمي عنه، وله مكافأة مالية هي أقرب إلى الخيال –يومئذ– منها إلى الحقيقة.. قال له رسول الله ﷺ: «**كأني بك قد لبست سواري كسرى**»[٢]. ودخل عمر ﷺ على رسول الله ﷺ وقد أثّرت الحصير في جنبه فبكى عمر ﷺ فقال رسول الله ﷺ:«ما يبكيك؟» فقلت: يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله !!! فقال له رسول الله ﷺ:«**أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة**»[٣].

فخطاب النبي ﷺ قد اختلف، ووعده لكل من سراقة وعمر رضي الله عنهما أيضاً قد اختلف؛ فالأول – في ذاك الوقت – خرج يريد الدنيا، فناسب أن يكون الوعد متوافقاً مع ما أراد، وأما ابن الخطاب ﷺ فقد وقر الإيمان في قلبه، وأصبح لا يقيم وزناً للدنيا ولا لما فيها؛ فوعده بما يناسب حاله.

---

(١) انظر: كتاب: الإيمان.. أركانه..حقيقته.. نواقضه، د/ محمد نعيم ياسين، دار الفرقان – الأردن: ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤م، ص: ١٤٢–١٤٦.

(٢) أورده ابن حجر في الإصابة، ط١، القاهرة، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م – بدون: ٢٣٧،٢٣٨/٤. والبيهقي في السنن الكبرى (٣٥٧/٦، ٣٥٨).

(٣) رواه البخاري – ك:التفسير – ب: تبتغي مرضات أزواجك – ص:١٢٤ – رقم:(٤٩١٣).

كما يدخل في باب مراعاة أحوال المدعوين الإيمانية، أن يفرق الداعية في خطابه بين حديثي العهد بالإسلام وبين الذين ولدوا في الإسلام، كذلك بين الصغار والكبار، أو بين الشباب والكهول، لا سيما في القضايا التي يختلف فيها العمل ويتفاوت فيها الإلزام، ومن ثم يتأثر بها المدعو تبعاً لسنه ومراحل تفكيره، التي تتغير وتتنوع تبعاً لتجاربه وخبراته في الحياة.

المبحث السادس: مراعاة الظروف الخاصة والأحوال الملحة

من الممكن أن تطرأ على الإنسان ظروف خاصة تجعله غير قادر على احتمال ما كان يحتمله في السابق، أو تجعله غير متقبل لأمر كان يتقبله ويرضى به قبل ذلك، وعند زوال هذه الأسباب تزول الموانع؛ فيقبل على ما هجره، ويلتزم ما تركه، بل وينفذ ما كان غير مستطيع له عند وجود الموانع، فالداعية الموفق هو الذي يستطيع أن يرصد هذه الأحوال، ويعد لها ما يتلاءم معها حسب الظروف والأحوال؛ فيتخير من الوسائل والأساليب ما يتناسب معها. لا أن يكون في واد والمدعو في واد آخر !!.

ففي حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ الذي يذكر فيه حكاية إسلام أبي ذر ﷺ ما يشير إلى المعنى السابق؛ حيث جاء أبو ذر ﷺ إلى النبي ﷺ فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي**»(١).

وإن كان أبو ذر ﷺ قد خرج إلى أهل مكة وأعلن إسلامه، وأوذي في ذلك إيذاء شديداً، إلا أن قول النبي ﷺ له: «ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي» فيه دلالة على أن الموقف والظرف الآن لا يحتمل، فلا يمكن أن يهاجر أبو ذر في هذه الظروف؛ وعليه –مراعاة للظروف والأحوال – أن يرجع إلى قومه وينتظر أمر رسول الله ﷺ حين تكون الظروف مواتية.

وقد عذر الله الذين لا يستطيعون الهجرة إلى ديار الإسلام نظراً لظروفهم

---

(١) صحيح البخاري – ك: مناقب الأنصار – ب: إسلام أبي ذر – ص: ٩٤٤، ٩٤٥ – رقم: (٣٨٦١).

الخاصة.قال تعالى: ﴿**إِنّ الّذِينَ تَوَفّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظالمي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنّا مُسْتَضْعَفِينَ في الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنّمُ وساءت مَصِيراً إِلاّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرّجَالِ وَالنّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً**﴾ (١).

وفي إشارة إلى ما جبل عليه الإنسان من خصال يصعب عليه تغييرها، ومراعاة الداعية لذلك في دعوته؛ أورد ما أخرجه البخاري من حديث أَنَسٍ ﷺ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ: «**غَارَتْ أُمُّكُمْ**»، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ»(٢).

ففي هذا الموقف لم يعلق النبي ﷺ على ما فعلت أم المؤمنين، وما كان منه إلا هذه الإشارة إلى غيرتها، ثم عالج الأمر بحكمته المعهودة منه ﷺ. فقد يبدر من إنسان أمراً في حال غضب أو مصيبة أو كارثة، فلا يُبنى عليها في هذه الحالة حكم؛ بل لابد من مراعاة هذه الظروف والأحوال؛ كما فعل النبي ﷺ مع المرأة التي مر عليها وهي تبكي عند قبر فَقَالَ: «**اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي**» قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى**»(٣).

المبحث السابع: جواز المداراة وحرمة المداهنة

قد يتعرض الداعية لمواقف معينة في مواجهة بعض المدعوين، تجعله يسلك

(١) سورة النساء: ٩٧، ٩٨.

(٢) صحيح البخاري – ك: النكاح – ب: الغيرة ج ١٦ / ص ١٣٣١ (٥٢٢٥).

(٣) صحيح البخاري –ك: الجنائز – ب: زيارة القبور – ص: ٣١٠ – رقم الحديث: (١٢٨٣).

سبيلاً غير ما اعتاده؛ ليصل إلى هذا الإنسان ذاته، أو ليصل عن طريقه إلى الآخرين، أو ليرد كيده أو فحشه أو سطوته التي قد تؤثر على الداعية وعلى دعوته، إذا سلك مع أمثال هؤلاء طريقاً مباشراً، وهنا يأتي ما أقصده من معنى المداراة، وهي: «تأخير بيان الحق دفعاً لمفسدة أكبر، أو طلباً لمصلحة شرعية أعظم، دون أن يتضمن هذا السكوت تأييداً لباطل، أو إبطالاً لحق، مع إنكار القلب في هذا كله، والعزم على الإنكار حين الاستطاعة، حسب المستطاع»(١).

فليست المداراة تأييداً للباطل، أو السكوت عنه؛ وإنما هي مرحلة من مراحل تغييره، فإذا صدقت النوايا وصح العزم، ونجح الداعية في اجتهاده ودعوته مع أمثال هؤلاء؛ فسيكون الأجر أعظم بإذن الله تعالى؛ لأن الثمرة ستكون أكبر، ومما يدل على إباحة هذا الأمر؛ ما روته عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: «**بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة**» فلما جلس تطلّق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله! حين رأيت الرجل، قلت له: كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة متى عهدتني فحّاشاً، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، من تركه الناس اتقاء شرّه**»(٢).

قال القرطبي: في الحديث جواز غيبة المعلن بالفسق أو الفحش ونحو ذلك من الجور في الحكم والدعاء إلى البدعة، مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم، ما لم يؤد ذلك إلى المداهنة في دين الله تعالى. ثم قال: والفرق بين المداراة والمداهنة: أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معا، وهي مباحة، وربما استحبت، والمداهنة ترك الدين لصلاح الدنيا، والنبي ﷺ إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته، ومع ذلك فلم يمدحه بقول، فلم يناقض قوله فيه فعله، فإن قوله

(١) منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر – عدنان بن محمد آل عرعور ص: ١٣٧.
(٢) صحيح البخاري – ك: الأدب – ب: لم يكن النبي ﷺ فاحشاً – ص: ١٥٣١، ١٥٣٢ – رقم:(٦١٣١).

فيه قول حق، وفعله معه حسن عشرة، فيزول مع هذا التقرير الإشكال بحمد الله تعالى(١).

وعلى ذلك فالمدارة بشروطها هي الجائزة، وهي سبيل إلى الحق، أما المداهنة التي هي تضييع الحق لأجل الخلق، أو السكوت عن الحق مع القدرة على القول أو الفعل؛ فهي محرمة في دين الله؛ قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىَ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاّعِنُونَ**﴾ (٢).

المبحث الثامن: عدم إثارة ماضي المدعوين

ليس من الحكمة أن يثير الداعية ماضي المدعوين، أو يذكير بما يكون قد وقع منهم من أخطاء أو ارتكبوه من آثام، لا سيما إذا جاءوا راغبين في الهداية آملين في التوبة إلى الله تعالى، بل من الخير أن يُفتح لأمثال هؤلاء باب الأمل والرجاء في عفو الله ومغفرته، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىَ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً**﴾ (٣).

فمهما بلغت الذنوب، فإن عفو الله أعظم، فمن الحكمة أن يوجه المذنب إلى التوبة، لا إلى اليأس من رحمة الله؛ فعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً، ثم خرج يسأل، فأتى راهباً فسأله فقال له هل من توبة؟ قال: لا، فقتله، فجعل يسأل، فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت، فناء بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجد إلى هذه أقرب بشبر فغفر له»(٤).

ومن الملاحظ في الرواية السابقة خطأ فتوى الراهب الذي أغلق باب التوبة

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر – ج ١٧ / ص ١٨٠.

(٢) سورة البقرة: ١٥٩.

(٣) سورة الزمر: ٥٣.

(٤) صحيح مسلم– ك: التوبة – ب: قبول توبة القاتل – ص: ١٦١٧ – رقم: (٢٧٦٦).

أمام هذا القاتل، فكان مصيره القتل، وأن التوجيه الصحيح لهذا العاصي جاء من رجل وليس من راهب، وقد وافقت إشارة هذا الرجل مراد الله تعالى، فقابل الصدق في نية التوبة من هذا العاصي بقبول توبته ومغفرة ذنوبه.

ولا شك أن صد أمثال هؤلاء العاصين لأجل ماضيهم، قد يجعلهم عقبات في طريق الدعوة، أما ضمهم إلى صف الدعوة، وتبشيرهم برحمة الله ومغفرته، وفتحهم صفحة جديدة مع الله تعالى فيه الخير الكثير، ونجاح الداعية الحقيقي يكون مع أمثال هؤلاء، وإذا كان الكافر تفتح له صفحة جديدة إذا أسلم، فمن باب أولى أن يكون المسلم العاصي كذلك؛ إذا تاب وأناب ورجع إلى الله. قال عمرو بن العاص ﵁: «لما ألقى الله ﷻ في قلبي الإسلام قال: أتيت النبي ﷺ ليبايعني، فبسط يده إلي فقلت: لا أبايعك يا رسول الله حتى تغفر لي ما تقدم من ذنبي، قال: فقال لي رسول الله ﷺ: **يا عمرو أما علمت أن الهجرة تجب ما قبلها من الذنوب، يا عمرو: أما علمت أن الإسلام يجب ما كان قبله من الذنوب؟**»[1].

(١) قال الألباني: أخرجه أحمد – ج ٤ / ٢٠٥. وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم ، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين. انظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط٢، المكتب الإسلامي – بيروت ، ١٤٠٥ – ١٩٨٥، ج ٥ / ص ١٢١.

الفصل الثالث

واقع الدعوة في استخدام الوسائل والأساليب

للوسائل والأساليب أهمية كبيرة في الدعوة إلى الله تعالى؛ فهي أدوات توصيل الدعوة إلى المدعو، وبقدر نجاح الداعية وتوفيقه في اختيارها، يكون نجاحه في الدعوة ذاتها. «وترتبط الوسائل والأساليب بالأهداف والغايات ارتباطاً وثيقاً، فكلما كانت الأهداف والغايات صحيحة فالواجب أن تكون الوسائل والأساليب كذلك صحيحة وفي إطار ما شرع الله تبارك وتعالى..»(١).

ولا شك أنه لا يمكن قطع الوسائل والأساليب الدعوية عما تناوله البحث في السابق، حيث إن ما عرض له البحث في فصليه الأول والثاني قد تناول موضوعات تربطها – ولا شك – صلة بهذا الفصل، ولكنها تم تناولها من زوايا مختلفة، وُظفت في حينها لبيان قضية أخرى تم التركيز عليها، أما هنا فسوف أعرض لبعض الوسائل والأساليب الدعوية التي تستخدم في الدعوة إلى الله تعالى بأعيانها، ومحاولة وضعها في ميزان ما استخدمه رسول الله ﷺ منها، مع الوضع في الاعتبار الفارق الزمني الذي أوجد وسائل لم تكن موجودة في عهد النبي ﷺ، مع بقاء ما استخدمه رسول الله ﷺ نبراساً يسير الدعاة على هداه، سواء في نوع الوسيلة، أو في الأسلوب الذي استخدم فيها.

وفي القرآن الكريم آية تحدثت عن الدعوة وعن كيفيتها وطريقة عرضها بوجه عام، وهي تعطي صورة عامة عن الوسائل والأساليب الدعوية، وما ينبغي أن تكون عليه، قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ (٢).

والآية – كما قال الإمام القرطبي – نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا

---

(١) ركائز منهج السلف في الدعوة إلى الله. د عبد الله بن محمد المجلي. ص/ ١٨٦ بتصرف واختصار.

(٢) سورة النحل: ١٢٥.

ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة. فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين. وقد قيل: إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورجي إيمانه بها دون قتال فهي فيه محكمة. والله أعلم(١).

وفي إطار من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، أشير إلى تعريف الوسائل والأساليب الدعوية كما ذكرها العلماء، ثم أعرض لأهمها في المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف الوسيلة والأسلوب في مجال الدعوة

يخلط فريق من العلماء بين الوسيلة والأسلوب؛ لما بينهما من تشابك وارتباط في كثير من الصور، ومنهم من قال: إنه مع التقدم العلمي والتطور الاصطلاحي يجب الفصل بين الأسلوب والوسيلة، مستدلاً بالخطبة التي تجمع بين الأمرين معاً، مع تمايز كل منهما بمفهومه وموضوعه الخاص؛ فالخطبة وغيرها قد ينظر إليها من ناحية هيكلها العام، وصورتها الفنية، وأقسامها العلمية وحينئذ فهي وسيلة للدعوة... أما إذا نظرنا إلى كلمات الخطبة وأسلوبها وما إلى ذلك من ملاءمة اللفظ، ودقة المعنى، ووضوح الدلالة، وحسن الخطاب فهي الأسلوب حينئذ(٢).

ولا شك أن التفريق بين الوسيلة والأسلوب يؤدي خدمة للدعوة؛ حيث «يستقل كل منهما بالبحث والدراسة؛ وبذلك يتمكن العلماء والدعاة من تحقيق التجديد والتطوير في كل منهما»(٣).

ومن هنا فقد عرفت الوسيلة بأنها: الأداة الناقلة للأسلوب والمضمون، فالأسلوب تحمله الوسيلة، وقد يتحرك أسلوب واحد من خلال عدد من الوسائل؛ فالكلمة تظهر مكتوبة، ومنطوقة، ومصورة(٤). والأسلوب هو: الألفاظ المختارة المركبة في صيغ مؤلفة للتعبير عن المعاني المراد إيصالها إلى الغير، قصد

---

(١) الجامع لأحكام القرآن – ج ١٠/ ٢٠٠.

(٢) الدعوة الإسلامية..أصولها – وسائلها – أساليبها. د/أحمد غلوش ص: ٤١، ٤٢ بتصرف.

(٣) المصدر السابق: ص/ ٤٢.

(٤) انظر: ركائز منهج السلف في الدعوة إلى الله. د عبد الله بن محمد المجلي. ص/ ١٨٥. وانظر كذلك: الدعوة الإسلامية. د/ أحمد غلوش ص: ٤٢.

الإيضاح والتأثير(١).

ومع كل ذلك تبقى هناك علاقة وطيدة بين الأسلوب والوسيلة، فقد تجمع مادة واحدة بينهما، وقد لا يمكن التفريق بينهما في بعض الأحيان، وعند رصد واقع الدعوة في إطار الوسائل والأساليب؛ فإننا نجد كثيراً من الدعاة قد أهمل جانباً كبيراً منها؛ فجاءت الكلمات باهتة لا روح فيها، وأصبح يسير في طريق لا يسلكه سواه، ولا يلتقي فيه بأحد ممن يتكلم إليهم، ذلك أنه استخدم وسيلة في غير أوانها، أو في غير مكانها، أو حَمَل الأسلوب بوسيلة لا تناسبه، فتكلم كثيراً وأثر قليلاً.

وسيرة النبي ﷺ وأسلوبه في الدعوة إلى الله قد اشتمل على كثير من العظات والعبر، التي يمكن أن يستفيد منها الدعاة في هذا الجانب؛ وسأحاول – بإذن الله تعالى – أن أضع أيدي الدعاة على بعض ما جاء فيها، مع الوضع في الاعتبار أنني لا أذكر الوسائل والأساليب بصورة منفردة؛ وإنما أذكر مع الوسيلة الأسلوب الذي حملته هذه الوسيلة – قدر المستطاع– والله المستعان.

المبحث الثاني: الدعوة إلى الله بالعمل والقدوة

أقصد بذلك أن يكون الداعية مثالاً عملياً لما يدعو الناس إليه، وأن يعمل على ترسيخ مبادئ الإسلام وقيمه ومظاهر سلوكه بفعله وقوله؛ حتى يكون قدوة صالحة للآخرين، فهو يدعو إلى الله بالعمل والقدوة الصالحة، «وهو حين يفعل ذلك إنما يستخدم وسيلة وأسلوباً في آنٍ واحد؛ فهو وسيلة بالنظر إلى العمل كحركة وفعل يقوم به الشخص، وهو أسلوب بالنظر إليه من ناحية ما فيه من دلالة ومفهوم»(٢).

وقد تكون الأعمال أبلغ من الكلمات، وقد يؤثر الداعية في الناس بفعله قبل أن يؤثر فيهم بقوله ومنطقه، وقد رأينا كيف كانت صفاته ﷺ قبل البعثة وبعدها خير سفير لما يدعو الناس إليه؛ فعندما سأل النجاشي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الملل؟ قال

(١) الدعوة الإسلامية. د/ أحمد غلوش – ص / ٥٠.

(٢) المصدر السابق – ص / ٤٢١ بتصرف يسير.

جعفر: أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه... (١). ألا ما أعظم هذه الأخلاق، وما أجمل أن يتحلى بها من يدعو الناس إليها؛ فما قيمة القول بلا عمل؟ وما قيمة ما أدعو الناس إليه إذا كنت غير متمثل له عامل به؟ لا شك أنه لن تكون له قيمة، لأنه افتقد شرط الإخلاص، وسوف يرد على صاحبه يوم القيامة.

ومما يؤسف له، أن هذه الآفة –آفة القول بلا عمل، أو القول المناقض للعمل – قد أصابت بعض الدعاة والعلماء، فقد ذكر أحدهم حكاية صديق له في شبابه، كان معجباً بكتابات عالم من العلماء حول أهمية الحجاب في الإسلام، والآثار الخطيرة للسفور والتبرج على المجتمعات الإسلامية، ثم إنه لما زار هذا العالم في بيته، فوجئ بزوجته تستقبله على الباب في لباسها العادي دون حجاب، مظهرة شعرها ورأسها ويديها؛ وكان من نتيجة هذا الموقف أن زهد الشاب في هذا العالم وفي علمه ودعوته(٢).

يقول الإمام ابن القيم: «علماء السوء جلسوا على أبواب الجنة، يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما يدعون إليه حقا، كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع طريق»(٣).

ومن هنا تتضح خطورة القول بلا عمل، وأهمية القدوة والعمل في الدعوة،

---

(١) مجمع الزوائد – ج٦/ص٢٧ وقال الهيثمي:رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في تعليقه على كتاب فقه السيرة،للشيخ محمد الغزالي، ج١/١١٥.

(٢) بصائر دعوية – د/ محمد أبو الفتح البيانوني، ط٢، دار السلام بالقاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص: ١٠٢، ١٠٣ بتصرف يسير.

(٣) الفوائد لابن القيم، ط٢،دار الكتاب العربي – بيروت،لبنان،١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م، ص/٦١.

وسوف يزيد الأمر وضوحاً من خلال ما يلي:

أولاً: لا بد أن يكون سمت الداعية في أقواله وأفعاله متوافقاً مع ما يدعو إليه؛ وأنه إذا كان كذلك فكل فعل أو قول هو منه دعوة إلى الله؛ وأدلل على ذلك بموقف عصيب مر به رسول الله ﷺ بعد تعرضه للأذى من أهل الطائف، حين ألجؤوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه، فلما رآه عتبة وشيبة رقَّا له، ودعوا غلامًا لهما نصرانيًّا يقال له: عدَّاس، فقالا له: خذ قطفاً من هذا العنب، فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل عدَّاس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده، قال: «**باسم الله**» ثم أكل، فنظر عدَّاس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام، ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: «ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟» قال: نصراني وأنا رجل من أهل نينوى، فقال رسول الله ﷺ:«من قرية الرجل الصالح يونس بن متى» فقال له عدَّاس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: «ذاك أخي،كان نبياً وأنا نبي» فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه، فقال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك يا عداس! ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي، قالا له: ويحك يا عدَّاس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه(١).

إن ابتداء النبي ﷺ بالتسمية، فيه إشارة لدعاة الإسلام إلى ضرورة الالتزام بهذه السنن التي تميز المسلم عن غيره، وأن ذلك قد يكون سبيلاً للفت أنظار المدعوين إلى الدعوة، مسلمين أو غير مسلمين؛ فعداس الذي سأله النبي ﷺ عن بلده ودينه قد تأثر بهذه الكلمة التي لا يسمعها من أهل هذه البلاد؛ مما دفعه إلى السؤال ومعرفة المزيد عن سبب هذا التميز، ولعل هذا الأمر يكون سبيلاً إلى دخوله في

(١) انظر: السيرة النبوية للصلابي - ١/ ٢١٦.

الإسلام.

كذلك في نداء النبي ﷺ لعداس باسمه وسؤاله له عن دينه وبلده، فيه تلطف معه وتودد إليه، كل ذلك كان سبباً في تحصيل النبي ﷺ نجاحاً للدعوة في مرحلة قد يراها البعض غير ناجحة. إلى جانب ما أخبره به ﷺ من معرفته ببلده وبنبي الله يونس عليه السلام وأنه نبي مثله.

ثانياً: بعد صلح الحديبية، وما كان من نتائجه؛ حيث قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قوموا فانحروا ثم احلقوا**» قال (الراوي): فو الله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك؛ نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا.. (١).

لا شك أن هذا الموقف يدل على تأثير القدوة العملية، وأن النبي ﷺ لما أقدم على الحلق والنحر دون أن يكلم أحداً، امتثلوا جميعاً، وهم من هم؟ إنهم صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين؛ فالفعل كان- هنا وفي هذا الظرف-أكثر تأثيراً من القول، مع ما لقول النبي ﷺ من الأهمية ومن وجوب الامتثال له.

ونبي الله شعيب عليه السلام قال لقومه كما حكاه عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ**﴾(٢). فإذا ظل الداعية ينادي ويخطب في الناس ليل نهار في تحريم الاحتكار أو الربا مثلاً، وهو محتكر أو مراب، فلن يسمع له أحد، ولو نادى في الناس بأبلغ عبارة وألطف إشارة بقيمة الصدق والأمانة وغير ذلك وهو مخالف لما يقول؛ فلن يسمع له أحد، ولن يلتفت إلى ما يقول أحد،

---

(١) صحيح البخاري- ك: الشروط - ب: الشروط في الجهاد - ص: ٦٦٩ - ٦٧٣ - رقم: (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) سورة هود: ٨٨.

وستكون أفعاله أبلغ في التأثير من أقواله؛ فيصد الناس عن سبيل الله. فينالـه الإثم العظيم في الدنيا والآخرة. قال ﷺ:«**يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدوركما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه**»(١).

المبحث الثالث:الخُطبة من أهم وسائل الدعوة

الخطبة من أهم وسائل الدعوة في كل وقت وحين، ومهما تعددت الوسائل وتطورت تبقى الخطبة في المنزلة الأسمى والمكانة الأعظم من بين الوسائل؛ ذلك لأنها ترتبط بعبادة عظيمة هي الصلاة، وبيوم فضيل هو يوم الجمعة؛ كذلك لتكرارها كل أسبوع، ولمظهر الإلزام بها والإنصات لها، كل ذلك أعطاها هذه الأهمية وهذه المكانة؛ وقد أصبحت الخطبة في عصرنا – دون غيرها في أغلب الأحيان– من أهم ما يقوم به الأئمة والخطباء والدعاة بوجه عام.

ومن هنا فإن ضعف الخطبة أو قوتها ينم عن نجاح الداعية أو إخفاقه، ذلك أن جمهوراً عريضاً من الناس لا يلتقي بالداعية أو بمادة الدعوة إلا يوم الجمعة، فلابد أن يهتم الداعية بما يقدمه لهؤلاء الناس؛ فهو يعطيهم الزاد الذي يحصنهم ويبقيهم على صلة وثيقة بالله سبحانه وتعالى.

والواقع خير شاهد على ذلك؛ فكم من داعية مجتهد أثر في محيطه الذي يعمل فيه؛ فغير المكان، ورسخ مبادئ الإسلام، وقوم سلوك الناس، ورغبهم في الخير والصلاح والاستقامة، وكم من داعية قصر في أداء رسالته، ولم يدرك مدى أهميتها وخطورتها، ولم يؤهل نفسه ويعدها لتحمل هذه الأمانة؛ فبقي في مكانه ومحيطه ثم انصرف عنه، دون أثر يذكر له عند الله وعند الناس؛ بسنة أحياها، أو بدعة أماتها، أو سلوك سيئ قومه، أو خلق ذميم حاربه، أو علم نافع للناس علمه.

---

(١) صحيح البخاري– ك: بدء الخلق – ب: صفة النار وأنها مخلوقة – ص: ٨٠٥، ٨٠٦ – رقم: (٣٢٦٧).

يقول الدكتور / أحمد غلوش: «لو أتقن الدعاة رسائلهم الدعوية التي تحتويها الخطبة لأمكنهم عرض الإسلام وتعليمه للناس، لأن العام الواحد يتكون من اثنتين وخمسين جمعة، فلو قدم الخطيب لمرتادي المسجد عدداً من الموضوعات المتقنة لقدم الكثير من المعارف... ولو تصورنا الخطبة محاضرة علمية والمصلون يحيطون بها فإننا نتصور جامعة راقية لتعليم المسلمين دينهم بوسيلة الخطابة»(١).

وعن أهمية الخطابة ومكانتها في السيرة النبوية، وكذلك أسلوبها وطريقة أدائها، أذكر مثالين لذلك من حياة النبي ﷺ، في أول الدعوة، وقرب وفاته ﷺ:

الأول: عن أبي هريرة قَالَ: «قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا»(٢).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ يَا صَبَاحَاهْ، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. قَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ مَا جَمَعْتَنَا إِلا لِهَذَا، ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾ (٣)...»(٤).

---

(١) الدعوة الإسلامية – ص / ٤٢٨، ٤٢٩.

(٢) صحيح البخاري– ك: التفسير– ب: وأنذر عشيرتك الأقربين– ص: ١١٩٦ – رقم: (٤٧٧١).

(٣) سورة المسد: ١.

(٤) صحيح البخاري– ك:التفسير– ب:وأنذر عشيرتك الأقربين– ص:١١٩٦ – رقم:(٤٧٧٠).

لا شك أن الداعية يمكنه أن يستفيد من هذه النماذج المضيئة – من وجهة نظري – على النحو التالي:

١- أن ما أشارت إليه الروايات كانت خطبة؛ حيث جاء في رواية أبي هريرة ﵁ (قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) وفي رواية ابن عباس ﵁ (حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا) وهي تأخذ من صورة الخطبة القيام والإعداد وجمع الناس.

٢- أنها امتثال لأمر الله تعالى بالإنذار، وكذلك خطبة الجمعة؛ فهي أمانة التبليغ عن الله تعالى التي يحملها الدعاة إلى الله.

٣- أن أسلوبها جاء متوافقاً مع الحدث الذي قيلت فيه، حيث إنه إنذار وبلاغ ووعيد، وتذكير بمسئولية كل إنسان عن نفسه أمام الله تعالى، حتى يكون ذلك أدعى لإنقاذ نفسه باتباع الهدي، وعدم اتباع الباطل.

٤- أنها اشتملت على الإعداد الجيد لأدلتها؛ حيث انتزعت من جمهورها إقراراً بصدق صاحبها فيما سبق، ومن ثم صدقه فيما سيقال، كل ذلك بدليل عقلي عملي، لا يقبل الرفض أو التكذيب.

٥- أنها أعطت درساً في الصدع بكلمة الحق، بأوضح عبارة، وأقوى بيان (فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ).

٦- كذلك في اختيار المكان المرتفع «وبروز الداعية عليه دلالة على أنها وسيلة مهمة، حيث يبرز الداعية على مكان مرتفع يراه الناس أمام أعينهم، وخاصة إذا كان الجمع غفيراً، حتى يسمع الناس ما يقول؛ ولهذا شرع الصعود على المنبر في خطب الجمع»(١).

الثاني: خطبته ﷺ المعروفة بخطبة حجة الوداع، والتي جاء فيها: «**إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم**، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن

---

(١) انظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري _ د/ سعيد بن وهف القحطاني – ج١/ ٨٤.

أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث... وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا: ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به؛ كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات(١).

ألا ما أعظم وأبلغ وأشمل هذه الخطبة، التي جمعت من وجوه الخير والبر الكثير، ومن الدروس والعبر للدعاة وغيرهم الكثير، والتي يمكن أن أشير إلى بعضها على النحو التالي:

١- اشتمالها على أهم ما يحتاج إليه الناس في الفعل والترك، ولأنها خطبة الوداع فلا بد أن تكون مركزة بهذه الصورة التي ظهرت بها، فلا وقت لبيان كل شيء، فعند الضرورة يقدم الأهم على المهم، وهذه هي العظة الأولى.

٢- مضمون ما اشتملت عليه هذه الخطبة، حيث جاء متوافقاً مع هذا الحدث العظيم، ومع هذا التجمع الكبير في موسم الحج، الذي ينبغي على المسلمين أن يستثمروه في كل زمان، فمما ورد فيها: تربية الأفراد على قطع الصلة بالجاهلية والابتعاد عن الذنوب، كذلك تحذير المسلمين من الذنوب والخطايا والآثام ما ظهر منها وما بطن، وتربية المجتمع على مبادئ أساسية؛ كالأخوة، ونصرة الضعيف، والدعوة إلى المساواة بين البشر: فقد قال ﷺ: «**لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض، إلا بالتقوى،**

(١) صحيح مسلم – ك: الحج–ب:حجة النبي ﷺ – ٧٦٩ –٧٧١ – رقم: (١٢١٨). وانظر السيرة النبوية الصحيحة للعمري – ص/ ٥٤٩، ٥٤٦.

الناس من آدم وآدم من تراب»[١]. كذلك تحديد مصدر التلقي؛ في الكتاب والسنة والاعتصام بهما[٢].

٣- النظر إلى ما اشتملت عليه هذه الخطبة من أساليب تعليمية، حيث علم النبي ﷺ أصحابه مناسك الحج بصورة عملية، فقال: «**خذوا عني مناسككم**»[٣]. وعلى هذا فيستحسن من الدعاة وهم يعلمون الناس معاني الإسلام، أن يعلموهم هذه المعاني، والمطلوبات الشرعية، أو بعضها –في الأقل– بصورة عملية، كالوضوء، والصلاة، وتعليم قراءة القرآن بصورة سليمة.

٤- كذلك في تكرار هذه الخطب في هذا اليوم لمزيد الاستفادة؛ فقد لوحظ أن النبي ﷺ كرر خطبه، فقد خطب في عرفة، وفي منى مرتين، كما كرر معاني بعض هذه الخطب وهذا أيضا درس للدعاة، في أهمية تكرار الخطب واستثمار المواسم والأحداث لإفادة الناس ودعوتهم.

٥- فليبلغ الشاهدُ الغائبَ: وفي هذا توجيه نبوي كريم، لكي تعم الفائدة أكبر عدد ممكن من الناس؛ فهذا من باب التعاون على الخير، ولأن الغائب قد يكون أوعى للعلم وأكثر فهمًا له من الحاضر الذي سمع، ولعل في ذلك إشارة إلى أهمية الوسائل الحديثة التي تنقل أقوال الداعية إلى أكبر عدد من الناس، عن طريق الوسائل المسموعة والمرئية والمكتوبة وغيرها حتى تعم الفائدة.

٦- ولعل في سؤال النبي ﷺ الحاضرين عن اليوم والشهر والبلد وهم

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: ج ١١ / ص ١٣٠. وذكره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – ج ٣ / ص ٧٩.

(٢) انظر: السيرة النبوية د/ علي محمد الصلابي – ج٢/ ٤٩١-٤٩٣ بتصرف واختصار.

(٣) صحيح مسلم – ك: الحج – ب: استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً ، وبيان قوله ﷺ: " لتأخذوا مناسككم " ص: ٨١٤ – رقم (١٢٩٧).

يعرفونها، دلالة على أهمية استخدام الدعاة لهذه الأساليب؛ لتنبيه السامعين لأهمية ما يلقى عليهم، فعلى العلماء والدعاة أن يقدموا بين يدي ما يقولونه، ما يدعو إلى جلب انتباه السامعين ويشدهم إلى كلامهم(١).

فتلك بعض الفوائد التي يمكن أن يفيدها الدعاة من وسيلة الخطابة، والتي لا يمكن أن تنجح الدعوة بدون الاهتمام بها، وإعدادها الإعداد الجيد، من اختيار الموضوع وعمق الفكرة وسهولة التناول، وغير ذلك مما يكون له كبير الأثر في نجاح الداعية في مهمته(٢).

المبحث الرابع: أهمية الحوار مع سهولة الأسلوب وبساطة الطرح

كثيراً ما يدخل الداعية في حوار مع المدعوين، سواء كانوا أصحاب فكر ومثقفين أو غيرهم، أو كانوا مسلمين أو غير مسلمين، ولا شك أن لكل صنف من هؤلاء طريقة وأسلوباً في حواره؛ فمنهم من يسعى إلى الحق، ومنهم من لا يريد إلا التعجيز، ومنهم من يريد أن يخرج من الحوار بانطباع يدعم موقفه بين أنصاره، وعلى الداعية أن يدرس هذه الحالات والمواقف جيداً قبل أن يبدأ الحوار، فإذا وافق على الحوار؛ فعليه أن يعد للأمر عدته، وأن يتمكن من أدواته؛ حتى ينصر قضيته ويفيد دعوته، ويكون الحوار عندئذ حواراً مثمراً نافعاً للدعوة وللداعية، ولبيان ذلك عملياً؛ أشير من كتب السيرة إلى ذلك بمثالين:

الأول: نأخذه من سيرته ﷺ في بداية الدعوة في مكة، في مرحلة التضييق والمحنة، نرصد فيه صورة لحوار لا تنازل فيه عن الحق، ولا ثرثرة فيه بكلام كثير، ولا خضوع لابتزاز، إنه مع عتبة بن ربيعة أحد رجالات قريش، الذي انتدب لهذا الحوار، مع رسول الله ﷺ: فعن جابر بن عبد الله قال: اجتمعت قريش للنبي ﷺ يوماً، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل.. فليكلمه

---

(١) انظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة – د/ عبد الكريم زيدان، ط١، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ، ٥١٨/٢.

(٢) ارجع في خطبة الوداع وما يستفاد منها إلى: كتاب السيرة النبوية د/ علي محمد الصلابي – ج٢/ ٤٩١-٤٩٤ بتصرف واختصار.

ولينظر ما يرد عليه، قالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، قالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ، قال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ، قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك، قد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم، فتكلم حتى نسمع قولك، أما والله ما رأينا سخطة أشأم على قومك منك؛ فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً، ما ينتظر إلا مثل صيحة الحبلى بأن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفاني، أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش فنزوجك عشراً، فقال له رسول الله ﷺ أفرغت؟ قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: ﴿**حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾...حتى بلغ ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾ (١). فقال عتبة: حسبك حسبك ما عندك غير هذا؟ قال: لا، فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءك؟ فقال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته، قالوا: هل أجابك؟ قال: نعم، قال: والذي نصبها بنية ما فهمت شيئاً مما قال، غير أنه قال ﴿**أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ** ﴾ قالوا: ويلك يكلمك رجل بالعربية فلا تدرى ما قال، قال: لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة(٢).

إن عتبة جاء يفاوض ويحاور، محملاً بمغريات كثيرة، جاء يعرض المال والنساء، وجاء يبين – من وجهة نظره – سوء وشؤم ما جاء به رسول الله ﷺ على قومه، وعتبة من أعرف القوم بالسحر والشعر والكهانة، فهو عقلية ناضجة محاورة، فقد سأل رسول الله ﷺ أسئلة،لم يستطع أن يرد عليها – مع أن عنده الجواب – فهو أشرف خلق الله وهو سيد ولد آدم، ولكنه التواضع والحياء والاحترام؛ حين وضعه في مقارنة مع أبيه وجده، ما كان من النبي ﷺ إلا أن سمع حتى فرغ

---

(١) سورة فصلت: ١، ٢، ١٣.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي– ج ٢ / ص ٤٥٣. وقال: رواه أبو يعلى وفيه الأجلح الكندي وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات. وذكره الألباني في: صحيح السيرة النبوية – ج ١ / ص ١٥٩.

الرجل، ثم قرأ عليه أول سورة فصلت، إلى أن وصل إلى الصاعقة – على حد تعبير عتبة – وهي آيات تحمل كل ما يريد أن يقول، وترد على كل بنود الحوار التي عرضها عتبة، ثم بعد ذلك تنذرهم وتهددهم بالصاعقة التي أصابت عاداً وثمود لما أعرضوا.

وليس صحيحاً – من وجهة نظري – أن عتبة بن ربيعة لم يفهم ما قاله رسول الله ﷺ، ولكنه لم يستطع أن يواجه قريشاً بما تكره، فأنكر أنه فهم شيئاً مما قيل، بدليل أنه حسب ما ورد زيادة على الرواية السابقة، أنه لما قالﷺ : ﴿ **فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** ﴾ أمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم، فقال أبو جهل: والله يا معشر قريش ما نرى عتبة إلا صبا إلى محمد وأعجبه كلامه، وما ذاك إلا من حاجة أصابته انطلقوا بنا إليه. فأتوه فقال أبو جهل: والله يا عتبة ما جئنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك أمره، فإن كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن محمد، فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمدا أبدا، وقال: لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ولكني أتيته – وقص عليهم القصة – فأجابني بشيء – والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة – فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفت أن ينزل عليكم العذاب[١].

ومن هنا فإن الحوار لابد أن يكون لبيان الحق والتمسك به، لا التفريط فيه، وعلى ذلك «فإن فتح باب الحوار لمصلحة الإسلام والمسلمين إذا وجد الداعية المؤهل هو الأصل، فهذا رسول الله ﷺ ما كان يغلق باب الحوار مع أحد، ولكنه في أي حوار كان يدعو إلى الله ويحقق مصلحة للإسلام والمسلمين»[٢].

---

(١) صحيح السيرة النبوية. للألباني – ج ١ / ١٦١ ، ١٦٢ وقال:رواه البيهقي وغيره عن الحاكم بسنده عن الأجلح به ، وفيه كلام ، ثم ذكر هذه الزيادة.

(٢) الأساس في السنة وفقهها (السيرة النبوية) سعيد حوي – ج١/٢٤٣، ٢٤٤ بتصرف يسير.

الثاني: عن السهولة في الأسلوب، والبساطة في الطرح، والصبر على المعارض، وسرعة البديهة، والرد المفحم والمقنع، أذكر حواراً دار بين النبي ﷺ وبين شاب مسلم، جاء يطلب منه أن يأذن له في الزنا ! إنها لكلمة عظيمة، وبداية قد تنم عن سوء خلق هذا السائل، وضعف دينه وجهله، مما استدعى من الحاضرين أن يزجروه، ويقولوا له: مه مه، فماذا كان رد النبي ﷺ عليه؟ قال: ادنه، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم» قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم» قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم» قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم» قال: «أفتحبه لخالتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم». قال: فوضع يده عليه، وقال: «**اللهم اغفر ذنبه، وطهّر قلبه، وحَصِّن فَرْجَه**» قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[(١)].

في كثير من الأحيان يلتقي الداعية أمثال هذا الشاب، ممن يعرضون أسئلة واستفسارات مختلفة، قد تنم عن ضيق أفق، أو جهل بالإسلام، أو سوء فهم، أو غير ذلك، فماذا يفعل الداعية حينئذ وما هو رده؟ لقد رأيت بعض الدعاة ينفر كثيراً، وربما أساء إلى سائله؛ إذا كان السؤال ضعيفاً، أو العرض له غير مرتب، أو ينم عن جهل سائله بأبسط تعاليم الإسلام، هنا يعنفه الداعية، ويتهمه بالجهل وما إلى ذلك، فماذا يفعل أمثال هؤلاء لو كانوا مكان رسول الله ﷺ، في هذا الموقف؟ إن غاية الداعية – كما ذكرنا– هداية الناس إلى طريق الله، وهذه الغاية تجعله يصبر ويحتسب، ويطلب من الله ﷻ أن يفتح له القلوب ويهيئ له القبول.

---

(١) مجمع الزوائد – ج ١ / ص ١٢٩وقال الهيثمي: رواه احمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.ذكره الألباني في " الصحيحة":١/٧١٢ (٣٧٠)

المبحث الخامس: استخدام الوسائل الإيضاحية في الدعوة

إن الكلمة المشفوعة بإشارة أو صورة أو ماشابه، تصل إلى المتلقي بشكل أوضح وأسهل من غيرها؛ شريطة أن تكون هذه الوسائل الإيضاحية موظفة في إطار المعنى المراد توظيفاً دقيقاً، دون مبالغة أو زيادة عن المطلوب؛ حيث إن المبالغة في الإشارة والحركة قد تأتي بنتائج عكسية، فتنفر السامع والمتلقي؛ فلتكن الحركة والإشارة والمثال التوضيحي، في مكانها ووقتها وعند الحاجة إليها. وسوف أذكر – على سبيل المثال – مما ورد عن النبي ﷺ ما يلي:

١-**الإشارة بالأصابع:** فقد ورد عن النبي ﷺ في أحاديث ومواقف كثيرة، استخدامه لأصابعه لتوضيح ما يريد توصيله للناس؛ فمن ذلك قوله ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ، أَوْ كَهَاتَيْنِ، وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى»(١). وقوله: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا، وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى»(٢). وعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رسول الله ﷺ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ، وَأَصَابِعِي أَقْصَرُ مِنْ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ يَقُولُ: «لَا يَجُوزُ مِنْ الضَّحَايَا؛ الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوَرُهَا، وَالْعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ عَرَجُهَا، وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالْعَجْفَاءُ الَّتِي لَا تُنْقِي»(٣).

لا شك أن الإشارة بالأصابع في هذه النصوص قد أفادت المعنى المراد؛ حتى إنه ﷺ قد اعتمد – في بعض الأحيان – على هذه الإشارة وحدها في توصيل المعنى المراد، وهي بالفعل كافية في ذلك، ويمكن أن تصل إلى جميع فئات المتلقين بسهولة ويسر، ودون أي تعقيد؛ لأنها موحية ومعبرة في حد ذاتها.

٢- **الإشارة إلى الصدر:** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ**

(١) صحيح البخاري-ك:التفسير – ب:تفسير سورة النازعات – ص: ١٢٥ – رقم: (٤٩٣٦).
(٢) صحيح البخاري-ك: الأدب – ب: فضل من يعول يتيماً – ص: ١٥٠٧ – رقم:(٦٠٠٥).
(٣) سنن النسائي – ك: الضحايا- ب: ما نهى عنه من الأضاحي: العوراء – ٤٥٧/١ (٤٣٦٩) صححه الألباني في: صحيح سنن النسائي – ج٣/ ١٧٧، ١٧٨ (٤٣٨٣).

وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ»[١]. وكأن الإشارة إلى الصدر هنا قد فعلت فعلها في نفس المتلقي، فالله ﷻ يعلم مكنون النفس، ويريد من العبد أن يكون مخلصاً لله ﷻ ظاهراً وباطناً.

٣- **التدريب العملي:** عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله كيف الطهور؟ فدعا بماء في إناء، فغسل كفيه ثلاثا، ثم غسل وجهه ثلاثا، ثم غسل ذراعيه ثلاثا، ثم مسح برأسه فأدخل إصبعيه السباحتين في أذنيه ومسح بإبهاميه على ظاهر أذنيه وبالسباحتين باطن أذنيه، ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا، ثم قال هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم أو ظلم وأساء»[٢]. وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلاً من بعض العالية، والناس كنفته[٣]، فمر بجدي أسك[٤] ميت، فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به، قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه؛ لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: «**فو الله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**»[٥].

في المثالين السابقين إشارة طيبة للدعاة، بأن يهتموا بالتدريب العملي للناس – ما أمكنهم ذلك – فهي وسيلة عظيمة في توصيل المعنى المراد، فمن من الحاضرين مع النبي ﷺ وهو يتوضأ أمامهم سينسى هذه الكيفية؟ إنها بالتدريب العملي قد ازدادت رسوخاً، وأي منا كان سيدرك هوان الدنيا على الله ﷻ، مثلما أدرك ذلك عندما أمسك النبي ﷺ بهذا الجدي الميت المعيب؟.

---

(١) صحيح مسلم – ك: البر والصلة والآداب – ب: تحريم ظلم المسلم وخذله– ص: ١٥٣٧ (٢٥٦٤).

(٢) سنن أبي داود – ك: الطهارة– ب: الوضوء ثلاثاً ثلاثاً – ص/ ٤٥، ٤٦ (١٣٥) قال الألباني في: صحيح سنن أبي داود – حسن صحيح، دون قوله: " أو نقص " فإنه شاذ.

(٣) كنفه: حاطه وصانه ، وبابه: نصر. مختار الصحاح للرازي – ص: ٥١٠.

(٤) فالسَّكَّاء التي لا أُذن لها... وجَدي أَسَكَّ أَي: مُصْطَلِم الأُذنين مقطوعهما. لسان العرب – ج ١٠ / ص ٤٣٩.

(٥) صحيح مسلم – ك: الزهد والرقائق – ب: رقم: (٢)– ص: ١٧٠٨ (٢٩٥٧).

٤- الوسائل المصورة: عن ربيع بن خثيم عن عبد الله ﷺ قال: خط النبي ﷺ خطا مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، **وقال: هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا**[١].

إنها وسائل -لاشك- عظيمة، ويمكن للدعاة في عصرنا، بل ويلزم عليهم الاستفادة منها ومن أمثالها، عند عرض قضية من القضايا، وعند تعليم الناس حكماً من الأحكام، إن الكلام - مهما كان بليغاً - كثيراً ما ينسى، أما هذه الصورة، وهذا الرسم على الرمال، أو على الرقاع، أو على أي وسيلة توضيحية أخرى فلا يزول أثرها بسهولة[٢].

المبحث السادس: وسيلة الرسائل وعالمية الدعوة

دعوة الإسلام دعوة عالمية، وهذا من الأمور الواضحة التي لا تحتاج إلى دليل، ذلك أن ختم رسالة الإسلام للرسالات السابقة يستوجب عالميتها، وآيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ تدل على ذلك، ثم إن تطبيق النبي ﷺ لهذا الأمر كان واضحاً في حياته ﷺ؛ حيث أرسل رسلاً برسائل إلى ملوك وأمراء العالم يدعوهم فيها إلى الإسلام. فقد روى مسلم عن أنس ﷺ: أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي، وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ[٣].

---

(١) صحيح البخاري -ك: الرقاق - ب: قول النبي ﷺ: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل - ص: ١٥٩٩ (٦٤١٧).

(٢) تراجع هذه الوسائل وغيرها في كتاب: استخدام الرسول ﷺ الوسائل التعليمية - تأليف: حسن بن علي البشاري، كتاب الأمة - وزارة الأوقاف - قطر - العدد: ٧٧ - جمادى الأولى: ١٤٢١ هـ.

(٣) صحيح مسلم - ك: الجهاد والسير - ب: كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار - ص: ١١٤٤ (١٧٧٤).

فدل هذا الحديث على مكاتبته ﷺ للكفار واتخاذ الكتاب في دعوتهم إلى الإسلام، وفيما يلي نص كتابه ﷺ إلى هرقل كما أورده البخاري: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين [الأتباع] ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [(١)]..»[(٢)]. فكان هذا الكتاب وأمثاله وسيلته ﷺ في دعوة هؤلاء القوم، وتبليغهم الإسلام، أشار إلى ذلك ابن حجر بقوله: «وفي الحديث الدعاء إلى الإسلام بالكلام والكتابة»[(٣)].

وقد اتخذ ﷺ كافة الأسباب المؤدية إلى نجاح هذه الوسيلة، فاختار دعاة مخصوصين لحمل هذه الكتب يستطيعون بيان الدعوة والدفاع عنها حين يسألون، واختار ﷺ خاتمًا من فضة، يختم به تلك الرسائل حين علم أنهم لا يقرءون كتابًا إلا مختوما؛ والذي يحسن ملاحظته، أن وسيلة الكتب والرسائل أفادت كثيرًا في تبليغ الدعوة، فقد كانت سببًا في إسلام بعض ممن كتب إليهم ﷺ، فهي إذا وسيلة دعوية صالحة لكل عصر، متى ما قام بها من يستطيع البيان والبلاغ[(٤)].

وإذا كانت الرسائل من أهم وسائل الدعوة في عهد النبي ﷺ، فإننا اليوم في حاجة إلى استلهام المعنى من وراء إرسال النبي ﷺ لها؛ في استخدامها بعينها إذا

---

(١) سورة آل عمران: ٦٤.

(٢) صحيح البخاري- ك: الجهاد والسير – ب: دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة – ص: ٧٢٥، ٧٢٦ (٢٩١٤). ومسلم: ك: الجهاد والسير – ب:كتاب النبي ﷺ إلى هرقل – ص: ١١٤١، ١١٤٢ – رقم: (١٧٧٣).

(٣) فتح الباري لابن حجر – ج ٩ / ص ١١١.

(٤) التدرج في دعوة النبي ﷺ – إبراهيم بن عبد الله المطلق، ط١، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٧هـ ، ج١/ ٦٠ – ٦٢. بتصرف.

أمكن ذلك، أو في إدخال وسائل أخرى حديثة عليها، مع بقاء الاهتداء بأسلوب وطريقة ومضمون الرسائل النبوية، والأهم من ذلك إعداد من يحملونها.

وبعد: فإنه توجد وسائل وأساليب أخرى كثيرة – منها القديم ومنها الحديث – يمكن أن تفيد الدعوة في عصرنا؛ ولكن يبقى لميزان القرآن والسنة القول الفصل فيما يجد من وسائل، وتبقى سيرة النبي ﷺ نبراساً يضيء الطريق لكل سالك إلى الله تعالى.

فمن الوسائل:

- وسائل المواجهة المباشرة مثل: (المحادثة – المناقشة – المناظرة – المحاضرة – الندوة – الحديث – المؤتمرات والمجامع العلمية).
- الوسائل السمعية مثل: (المذياع – الشريط – الرسائل – الملصقات).
- الوسائل المكتوبة مثل: (الكتاب – الكتيب – الصحيفة اليومية الدوريات).
- ثم الوسائل المرئية المصورة، والوسائل الفضائية الحديثة وغيرها.

ومن الأساليب: (القصة – القسم – ضرب المثل – أسلوب الجدل)، وغير ذلك مما تناولته الدراسات التي ركزت على الوسائل والأساليب الدعوية (١).

الخاتمة

بعد كتابة هذه الصفحات التي رصدت فيها بعض الجوانب في واقع الدعوة المعاصر، وما ينبغي أن يكون عليه، من خلال ربطه بسيرة النبي ﷺ أقول: إن واقعنا الدعوي لا شك فيه تقصير بيّن؛ يظهر أثره في ضعف مستوى بعض الدعاة علمياً وسلوكياً؛ وضعف انتمائهم لهذه الرسالة العظيمة التي شرفهم الله بحملها. ولا شك أن الإصلاح مهمة تضامنية؛ لا يمكن أن يتحمل الدعاة وحدهم التقصير فيها؛

---

(١) انظر: أ- الدعوة الإسلامية..أصولها – وسائلها – أساليبها. د/ أحمد غلوش. ب-كتاب: استخدام الرسول ﷺ الوسائل التعليمية – تأليف: حسن بن علي البشاري. ج – أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة – حمد بن ناصر العمار،ط١، دار إشبيليا – الرياض، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

فإن على المجتمع وعلى الدولة دوراً لا يقل أهمية عن دور الدعاة، في تهيئة بيئة مساعدة وداعمة لدور الدعاة في المجتمع، حتى لا يُهدم في لحظات ما يبنيه الدعاة والمصلحون في سنوات. ولقد أشرت في هذا البحث إلى عدة جوانب، أرى أنها – بفضل الله تعالى – قد اشتملت على كثير مما تحتاجه الدعوة في عصرنا، من خلال ربط الواقع بعصر النبوة والرسالة.

فقد تناولت في الفصل الأول: واقع الدعوة في مجال الإعداد والتربية، من خلال مبحثين: أشرت في الأول منهما إلى نشأة النبي ﷺ وبداية الدعوة، وكيفية الاقتداء به ﷺ في أخلاقه وتعاملاته، في صلته بالمجتمع الذي كان يعيش فيه، وسيرته بين قومه، وزواجه بالسيدة خديجة رضي الله عنها، وأثرها في الدعوة، ودعوته لأقاربه وكيف تمت؟ وتوثيق صلته بالله تعالى، وعدم مشاركته لمجتمعه فيما يخدش المروءة، أو يتنافى مع ما يعده الله له من النبوة والرسالة. ومشاركته في كل أعمال الخير والبر.

وذكرت في المبحث الثاني جانباً من الدروس المستفادة من تربية النبي ﷺ لأصحابه، حيث غرس فيهم العقيدة الصحيحة ووثق صلتهم بكتاب الله تعالى، ورباهم على: الصبر، وعدم الاستعجال، ودفع اليأس مع بث الأمل والرجاء في نفوسهم، ثم جعل دار الأرقم بن أبي الأرقم مدرسة للعلم والفقه وغرس مبادئ الدعوة وأصولها، مدرسة للتقويم المستمر الذي تستدعيه تجارب الحياة اليومية التي عاشها المسلمون الأوائل.

وفي الفصل الثاني من البحث تناولت جانباً من سيرته ﷺ في كيفية تعامله مع المدعوين في مواقف مختلفة، مع محاولة ربط ذلك بواقع الدعوة في العصر الذين نعيش فيه؛ من خلال معرفة حالة المدعو الإيمانية والعلمية وطباعه الشخصية وظروفه الخاصة التي يمر بها؛ وكيفية التعامل مع كل الفئات تعاملاً شرعياً بعيداً عن النفاق والمداهنة، وقريباً من المداراة والتلطف المشروع الذي يفيد الدعوة ويقويها.

وفي الفصل الثالث تناولت جانباً من الوسائل والأساليب الدعوية التي استخدمها رسول الله ﷺ وكانت ذات أثر واضح في نجاح دعوته ﷺ، مع الحديث عن واقع الدعوة المعاصرة عند تناول كل وسيلة أو أسلوب.

وأخيراً أسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدا، وأن يجعلنا عملنا خالصا لوجهه الكريم، وأن يثقل به موازيننا يوم القيامة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين

فهرست المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل – المكتب الإسلامي – بيروت – الثانية – ١٤٠٥ – ١٩٨٥.
٣- أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة – دار إشبيليا – الرياض – الأولى: ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
٤- إعلام الموقعين – لابن القيم – مكتبة الكليات الأزهرية– القاهرة: ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.
٥- الأساس في السنة وفقهها (السيرة النبوية) سعيد حوي – دار السلام بالقاهرة – الثالثة: ١٤١٦ – ١٩٩٥م.
٦- أضواء البيان – للشنقيطي (عالم الكتب – بيروت – بدون).
٧- الإيمان – د/ محمد نعيم ياسين – (دار الفرقان – الأردن: ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤م).
٨- الإصابة لابن حجر العسقلاني (القاهرة –الأولى: ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م – بدون).
٩- استخدام الرسول ﷺ الوسائل التعليمية – تأليف: حسن بن علي البشاري (كتاب الأمة – وزارة الأوقاف – قطر – العدد: ٧٧ – جمادى الأولى: ١٤٢١ هـ).
١٠- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (دار الفكر العربى – مصر – بدون).
١١- بصائر دعوية – د/ محمد أبو الفتح البيانوني – دار السلام بالقاهرة – الثانية: ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م.
١٢- تأملات في السيرة النبوية – د/ محمود محمد عمارة – (دار الخير: بيروت – دمشق – الأولى: ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م).
١٣- تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ وفقه الدعوة منه. د عبد الرحمن بن سليمان الخليفي. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض – العدد:٢١ –حرم:١٤١٩هـ.
١٤- تفسير القرآن العظيم – لابن كثير (دار طيبة للنشر والتوزيع – الثانية: ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م).
١٥- التدرج في دعوة النبي ﷺ – إبراهيم بن عبد الله المطلق — (الأولى – الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – مركز البحوث والدراسات الإسلامية– تاريخ النشر: ١٤١٧هـ).
١٦- الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي (دار عالم الكتب – الرياض – المملكة العربية السعودية – بدون).

١٧- الدعوة الإسلامية..أصولها – وسائلها – أساليبها. د/ أحمد غلوش –مؤسسة الرسالة. ناشرون – مصر.
١٨- ركائز منهج السلف في الدعوة إلى الله. د عبد الله بن محمد المجلي.– مجلة البحوث الإسلامية – الصادرة عن الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء – المملكة العربية السعودية – العدد ٨٨ – ١٤٣٠ هـ.
١٩- الرحيق المختوم – صفي الرحمن المباركفوري (مكتبة النور الإسلامي – الإسماعيلية – مصر – بدون).
٢٠- زاد المعاد، لابن قيم الجوزية (مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الثالثة: ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م).
٢١-السلسلة الصحيحة – محمد ناصر الدين الألباني (مكتبة المعارف: الرياض – بدون).
٢٢- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث د/ علي محمد الصلابي (ط مؤسسة اقرأ بالقاهرة – الأولى: ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م)
٢٣- سيرة ابن هشام – تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري (دار الكتاب العربي – بيروت – الثانية: ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م).
٢٤- سنن النسائي (بيت الأفكار الدولية) الرياض، عَمان. توزيع: مؤسسة المؤتمن – الرياض – المملكة العربية السعودية.
٢٥- سنن أبي داود (بيت الأفكار الدولية) الرياض، عَمان. توزيع: مؤسسة المؤتمن – الرياض – المملكة العربية السعودية.
٢٦- شرح النووي على مسلم (بيت الأفكار الدولية: الأردن – السعودية – المؤتمن للتوزيع بالرياض – بدون.
٢٧- صحيح وضعيف سنن النسائي للألباني (مكتبة المعارف: الرياض – الطبعة الأولى للطبعة الجديدة: ١٤١٩هـ–١٩٩٨م).
٢٨- صحيح الترغيب والترهيب للألباني (مكتبة المعارف – الرياض: الخامسة)
٢٩- صحيح وضعيف سنن أبي داود للألباني مكتبة المعارف: الرياض – الطبعة الأولى للطبعة الجديدة: ١٤١٩هـ–١٩٩٨م).
٣٠- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته للألباني — المكتب الإسلامي: بيروت–دمشق – الثالثة: ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.
٣١- صحيح البخاري (دار ابن كثير – دمشق – بيروت – الأولى: ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م).

٣٢- صحيح سنن الترمذي للألباني -مكتبة المعارف: الرياض- الطبعة الأولى للطبعة الجديدة: ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٣٣- صحيح السيرة النبوية - (نشر: المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن- الأولى: بدون).

٣٤- عظمة محمد خاتم رسل الله - مصطفى الزرقاء (دار القلم - دمشق - الأولى: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)

٣٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني (مكتبة الرياض - المملكة العربية السعودية - بدون).

٣٦- فقه السيرة - د/ محمد سعيد رمضان البوطي - (دار الفكر المعاصر: بيروت- لبنان - دار الفكر: دمشق - سوريا - بدون).

٣٧- فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي، (دار القلم - دمشق - السابعة: ١٩٩٨م).

٣٨- في فقه الأولويات - د/ يوسف القرضاوي - (ط مكتبة وهبة - القاهرة - الثانية: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م).

٣٩- الفوائد لابن القيم (دار الكتاب العربي - بيروت، لبنان - الثانية: ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م)

٤٠- فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري _ د/ سعيد بن وهف القحطاني - (طبع وزارة الشؤون الإسلامية - المملكة العربية السعودية).

٤١- كيف ندعو إلى الإسلام - فتحي يكن (مؤسسة الرسالة - بيروت - الحادية عشرة: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٤٢- لسان العرب لابن منظور: - دار صادر- بيروت - الأولى.

٤٣- المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة - د/ عبد الكريم زيدان (مؤسسة الرسالة - الأولى: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)

٤٤- موسوعة نضرة النعيم - (دار الوسيلة - جدة - الثالثة: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م)

٤٥- مختصر تفسير البغوي - عبد الله بن أحمد بن علي الزيد (دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض - الأولى: ١٤١٦ هـ).

٤٦- مختار الصحاح للرازي - (مكتبة لبنان - بيروت - ١٩٩٩م)

٤٧- محمد رسوا الله.. خلاصة سيرته.. ومقالات نادرة فيها - محمد بن إبراهيم الحمد - (دار ابن خزيمة - السعودية - الرياض - الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

٤٨- منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر -للشيخ / عدنان بن محمد آل عرعور (الأولى: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٥م).

٤٩- مدارج السالكين لابن القيم (دار الكتاب العربي – بيروت، لبنان – الثانية: ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م).
٥٠- مفتاح دار السعادة لابن القيم (الرياض: رئاسة البحوث العلمية والإفتاء – بدون).
٥١ – مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي – د/ عبد الكريم بكار – دار القلم: دمشق – الثانية: ٢٠٠١م.
٥٢- المستدرك على الصحيحين للحاكم – دار الحرمين للطباعة والنشر: القاهرة –الأولى: ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

مواقع شبكة المعلومات الدولية

٥٣- موقع: www.islamweb.net
٥٤- موقع: www.almesryoon.com
٥٥- موقع: www.al-islam.com
٥٦- موقع: www.alwarraq.com
٥٧- موقع: www.alsunnah.com

فهرست الموضوعات

الموضـوع	رقم الصفحة
المقدمة:	١١١
الفصل الأول **واقع الدعوة الإسلامية في مجال الإعداد والتربية في ميزان السيرة النبوية**	١١٥
المبحث الأول: دروس دعوية من واقع نشأته ﷺ وبداية الدعوة:	١١٧
المبحث الثاني: دروس دعوية من تربيته ﷺ لأصحابه:	١٣٣
الفصل الثاني **دروس دعوية من سيرته ﷺ في مراعاة أحوال المدعوين**	١٥٨
المبحث الأول: فهم عقلية المدعوين وطريقة التعامل معهم:	١٥٩
المبحث الثاني:مراعاة طباع المدعوين الشخصية:	١٦١
المبحث الثالث:تركيز الأمر والنهي على المهم حسب الظروف والأحوال:	١٦٢
المبحث الرابع: توجيه الأمر والنهي مراعياً أحوال المدعوين العلمية:	١٦٤
المبحث الخامس: مراعاة أحوال المدعوين الإيمانية:	١٦٧
المبحث السادس: مراعاة الظروف الخاصة والأحوال الملحة:	١٦٨
المبحث السابع: جواز المداراة وحرمة المداهنة:	١٧٠
المبحث الثامن: عدم إثارة ماضي المدعوين:	١٧١
الفصل الثالث **واقع الدعوة في استخدام الوسائل والأساليب**	١٧٣
المبحث الأول: تعريف الوسيلة والأسلوب في مجال الدعوة:	١٧٤
المبحث الثاني: الدعوة إلى الله بالعمل والقدوة:	١٧٥
المبحث الثالث:الخُطبة من أهم وسائل الدعوة:	١٧٩
المبحث الرابع: أهمية الحوار مع سهولة الأسلوب وبساطة الطرح:	١٨٤
المبحث الخامس: استخدام الوسائل الإيضاحية في الدعوة:	١٨٨
المبحث السادس: وسيلة الرسائل وعالمية الدعوة	١٩٠
الخاتمـة	١٩٣
فهرست المراجع	١٩٥
فهرست الموضوعات	١٩٩